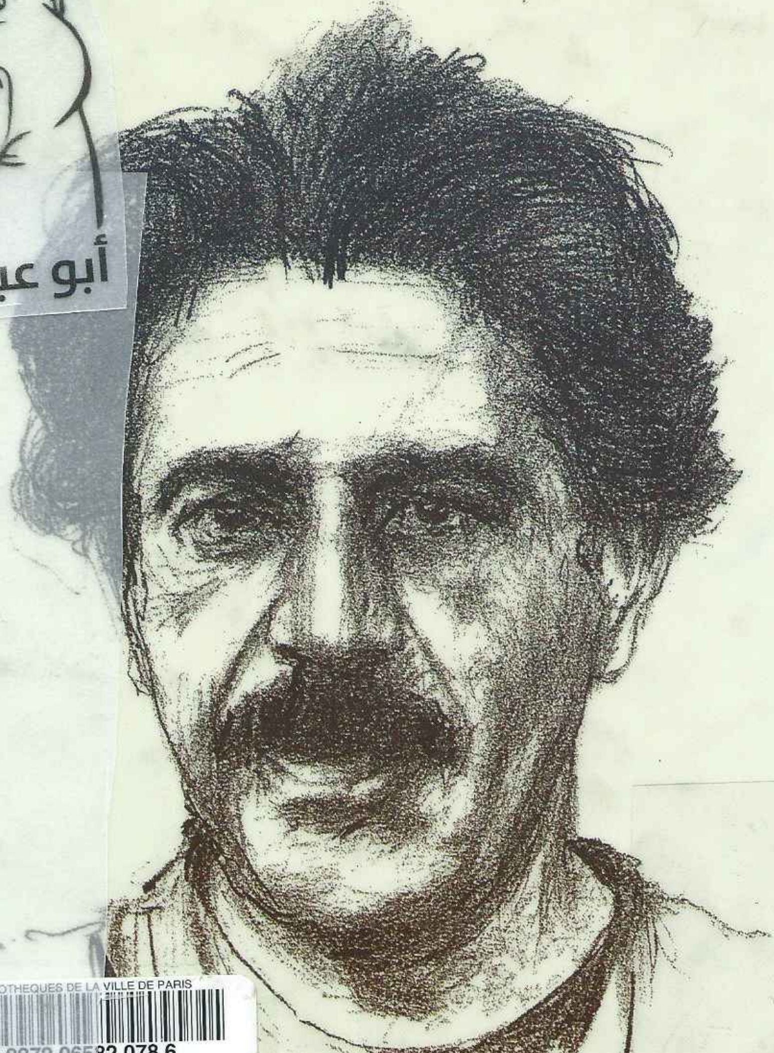
الأعمال الشعريّة

أمجد ناصر





الأعمال الشعرية

أمجد ناصر

الأعمال الشعريّة / شعر عربيّ معاصر
أمجد ناصر / مؤلّف من الأردن
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي .
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب : ٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali @ nets. com. jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
لوحة الغلاف :
هادي ياسين / العراق
الرسومات الداخليّة :
ضياء العزاوي / العراق
محمّد الصاروط الإخراج الداخليّ :

[illegible]
• مطبعة سيكو / بيروت ، لبنان

الأعمال الشعرية

أمجد ناصر



سندباد بري

عباس بيضون

قراءة مؤلف مسلسل متكامل هي على نحو ما قراءة تاريخ شعري بالطبع، ولا بد أن هذا يضللنا قليلاً عن الشعر أو يجعل القراءة نفسها متعددة. ان نقرأ شعراً ومؤلفاً تاريخياً شعرياً في آن واحد أمر لا تحمد تقاطعاته ولا تفرعاته بالطبع. ان نمرحل الشعر وأن نحصي خططه وأن نتابع ما انقطع وما انوصل منها، وأن نرده إلى أساليب أكبر أو أصغر وإلى وحدات أكبر أو أصغر، وأن نلم شتاته ونجريه في سياقات ووجهات ومشروع واحد.. كل هذا ما نخشى منه على الشعر وهو كما نعلم هش ضعيف سريع العدوى كثير التلوث، طيّار هَروب ولا نأمن من أن نفقده في خرائط عمليات واسعة كهذه، فالشعر كتاب على نحو غير أكيد، ومؤلف مشتبه من دون ريب، وبناء لا نأمن من أن يكون مزعوماً، ووحدة في الظن، ولا نأمن من أن نفقده، بعضه أو جله، في عمليات القطع والربط والجمع والنثر والإعادة والرد. أقول هذا لا من خشية على الشعر الذي قلما يقدر عليه هذا الضبط والجمع فهو بدوي وقلما يسعنا توظيفه وحصره. أقول من خشية أن نضيع نحن في صورية مبانينا وأن ننقطع عن ذلك الإحساس الطيار والجسدي مع ذلك بوجود الشعر.

تحذير في محله أو غير محله، وهو بالطبع تحذير لنفسي أولاً وأخيراً، فأنا من الذين لا يظنون أن الكتابة عن الشعر تصل إلى أبعد منه. انها في الغالب مثله تمحو آثارها وتتقدم في الفراغ ولا تقوى على تذكر رحلتها ولا يدوم سحرها إذ سرعان ما تتحول أضغاث أفكار وأحلام ذكريات. إنها مثله تجد نفسها دائماً على شاطئ البداية وعند السؤال الأول. ثم أنني أجد أن قراءة الشعر نفسها لا تختلف عنه. انها تبني وتنسى، بل هي تبقى دائما أولى. كل قراءة أولى، وكل قراءة تسعى لتكون أولى، والأرجح أننا لا

نستطيع أن نلتحم بالقصيدة ان لم نقرأها بوعي قريب من ذلك الذي نكتبها به، إن لم نتركها تبني وتنشئ عالماً لا تلبث أن تنساه وكأن لم يكن. والأرجح أن قراءة كهذه بزخمها وتكاملها لا تعود. هكذا تمحو القصيدة كل أثر بين القراءة والكتابة وتبقى في سر القارئ وسر الشاعر. لا نعجب إذن إذا كانت الكتابة عن الشعر يائسة. لكنها تبقى مع ذلك متعة مغصوصة ونستطيع أن نضيّع فيها الوقت الذي نهدره في قضية لم تتحقق.

لعلي أطلت المراوحة، أو أطلت التلكؤ. أمامي إذن مؤلف متسلسل متكامل، ست مجموعات لأمجد ناصر وليس هذا رقماً كبيرا لحياة شعرية بدأت باكرة وتواصلت من دون انقطاع، والأرجح أن قراءة ناصر الأولى تعد بسهولة أعرف من مراسي أنها حذرة وأتوجس عن حق منها. ففي مؤلف أمجد ناصر ما نهابه. قدر من تواصل يهون الأمر على قارئه فهو يعده بأنه لن يقع في قطائع ولن يضيّع الخط.

مجموعات أمجد ناصر تتواصل، تصعد وتهبط وتنعطف بالطبع لكنها تفضي بنا مع ذلك من كتاب إلى كتاب وعمل إلى عمل. في «مديح لمقهى آخر» العنوان الجميل لديوان أمجد الأول (أفضل لسبب غير محسوم أن أقول مجموعته) ما يشعر بأن الشاعر وجد قصيدته تقريباً، أو وجد بذور قصيدته تلك من العمل الأول، وأرجح أن في هذا «وعياً شعرياً» نادراً. تواصل يمكننا أن نعتبره، للتسهيل، مشتملاً على قدر من وحدة، إذ لا يؤرقني مصطلح كالوحدة ولا أعرف مصطلحاً محيراً مضللا بقدره. للتسهيل، أقول تقربا من القارئ ومن ميراثه «النقدي».

في «مديح لمقهى آخر» نجد أمجد ناصر شاعراً يختار من البداية، وأقول يختار مع التشديد عليها، إذ لم يكن سهلاً أن نختار مع كل

ذلك «الإغداق» الشعري القائم آنذاك، ومع كل ذلك الطموح البعيد المدى للشعر والأوهام حول الذات والمشاريع الكبرى الشعرية. لم يكن سهلاً الاختيار حين يرفع الشعر مراهناته ومضارباته إلى حد يستحيل معه تميز حدوده. في تلك الآونة كان للشعر من الشهية والجشع ما يجعله متطلعاً إلى أن يحتل اسمياً كل بقعة تتظاهر فيها الثقافة العربية والواقع العربي، ولنقل ان «مشاريع» الشعر هذه كانت في قدر منها بيانات امتلاك معلن للإنسان بكل دراماه الشخصية والفكرية.

امتلاك سحري للواقع العربي الذي تزعم البيانات أنها أداته الثورية وتمنح لذلك على نحو سيريالي للشعري والحلمي قدرة على خلق وابتعاث وتحويل الواقعي، وامتلاك (ما زلنا بصدد المشاريع الشعرية) الثقافة برمتها وبكل تضاعيفها والتاريخ بكل قوته الأسطورية، ولنقل إن شعر أمجد ناصر أمام عالم من الأنوات الشعرية المتضخمة. بهذه الطاقة على الاستبدال والحلول والسحر اختار. اختار في الواقع حيزاً ضيقاً ومحدوداً بالقياس إلى فقدان الطموح الشعري آنذاك، لا للحدود فحسب بل للبدايات وكان هذا يقتضي أولاً قدراً من التنحية والتعليق والتجنب والاستبعاد، أي ان الاختيار نفسه كان على نحو ما عملية «نقدية» إذا جاز القول. وإذا شئنا أن نتوسع كثيراً في ذلك قلنا ان اختيار أمجد ناصر في هذه الفترة مع عدد من شعراء الطور الثاني من القصيدة الجديدة كان اختياراً مجدداً لقدرات الشاعر الذي عاد من جديد كائناً عادياً.

لقد غدا الشعر غير قادر على أن يكون هو نفسه محل استقطاب حلولي لكل شيء، وعلى أن يكون على نحو ما الشاعر - الإنسان

والشاعر ـ الإله والشاعر ـ النبي والشاعر ـ البطل المضاد والشاعر ـ الانقلاب والشاعر ـ الثورة والشاعر ـ التجديد والشاعر ـ الحداثة والشاعر ـ القائد ـ الملهم. لم يعد الشعر قادرا على أن يكون هو نفسه الأمة والتاريخ والثقافة. الأرجح أن اختيار أمجد ناصر لم يكن محدوداً (بالقياس) أو ضيقاً الا بوعي «نقدي» وبعملية تجنب واختلاف وانسحاب طويلة بحد ذاتها. لذا لم يكن اختياره في ديوانه الأول بديهياً. أما ما اختاره أمجد ناصر فكان في تجنب غناء وإعلاء متطرفين من جهة ودراماتيكية مبالغة من جهة أخرى.
لا التغني المستقبلي المتسامي، بما يعني ذلك من تقمص الآن للأزمنة المفصلية للماضي والمستقبل والعصر بطبيعة الحال، للتاريخ والأمة والقيم العليا بما يعنيه ذلك من اعتبار الشعر تاريخاً مضاداً وطوبى وثقافة ناقضة ورافعة سحرية للحداثة والتجديد، وولادة ثانية وعصرا آخر.
اختيار أمجد ناصر كان من ناحية أخرى في تجنب الأنا الدراماتيكية الهائجة المتوترة والمتشنجة الغارقة في مونولوغها الخاص، المشخصة على نحو مرضي للعالم أو المبتلعة على نحو مرضي للعالم. المتقمصة لإقانيم شيطانية هي: التدمير والاعتراض والنقض. المترادفة بالطبع مع قيم لا تبلغ: الحب والإنسان والشعر. المفترضة ذاتها إنساناً أولاً ومثالاً ضدياً وقوة سرطانية ونقضية كونية. والمانحة للشعر سحر الشر وسحر المرض وسحر التمرد. والمنسحبة بعد ذلك على نحو رومانطيقي للحب والصلاة والشعر. لنقل ان الأنا البانورامية سواء كانت ثقافية أو درامية لم تكن خيار أمجد ناصر الذي بدأ شعره من حيث لا يبقى محل لابتلاع الكون والعالم، بدأ من لحظة متقاطعة، لحظة وجوده

الشخصي وغير الشخصي، الذاتي وغير الذاتي. لحظة خروجه وخروج قومه، خروجه من العشيرة الحقيقية أو الوهمية، وخروج قومه من الصحراء الحقيقية أو الخيالية. لحظة متقاطعة هي في عنصرها الميكروسكوبي لحظة في سيرة، وفي عنصرها الميكروسكوبي لحظة في هجرة جماعية. وفي اللحظة المركبة المتقاطعة هذه ما ليس بالطبع شخصياً بالمطلق. ثمة تركيب من كل هذا في شعر هو نوع من مثول لحظة، سواء أكانت هذه طويلة أم قصيرة. لكن الشعر ليس زمناً بذاته فالخيالي الفانتازي هنا ليس لازمنياً. فالزمن هنا، حقيقياً أو متخيلاً مادته، والزمن بطله على نحو ما، وسواء تكلمنا عن صحراء الوهم أو صحراء الذاكرة أو الخيال أو الحقيقة على نحو ما فإن التحول هو الموضوع. التحول الذي هو دائماً لحظة مركبة، الذي هو دائماً انتقال بصري ولغوي وعاطفي وفكري بالطبع.

الأرجح أن الانتقال داخل عالم انتقالي هو الذي يعطي لقصيدة أمجد ناصر موضوعها الضمني، إذا كان لذلك أن يكون موضوعاً. ولعل عناوين مجموعاته: منذ جلعاد، وصول الغرباء، رعاة العزلة، مرتقى الأنفاس، إشارات لذاكرة الانتقال أو التحول هذه ومخيلتها وفولكلورها. لنقل ان الانتقال هو أسطورة شعر أمجد ناصر وحيزه اللغوي المكاني التخييلي الرجراج المتموج المتحرك على تقاطع أزمنة فعلية. نعجب بادئ ذي بدء من أن يبدأ فتى في العشرينات قصيدته من سيرته هو ومن هذا المنعطف في سيرته. نعجب لكننا لا نغفل عن ان تسمية الزمن هذه كانت في شعرنا نوعاً من سند مرجعي لا يصح الكلام من دونه. تتكلم ليس من دون تقديم نفسك وزمنك أولاً، وأحسب أن شعراء الطور الأول من

القصيدة الحديثة بدأوا بتقديم أنفسهم وزمنهم على نحو يوازي أسطورتهم.

انهم من على تقاطع أزمنة فلكية كبرى: لنسمّها الماضي المطلق والعصر في اتجاه مستقبلي. لنسمّها الشرق والغرب ولنسمّها الحداثة، مجرات زمنية لم يكن لأمجد ناصر قبل بها. مقابل الزمن الكوسموبوليتي للرواد أو الزمن الفلكي نجد أن شعراء الطور الثاني على جسر اللحظة الانتقالية في جماعاتهم وذواتهم. قدم نفسك، قدم زمنك. هذا هو البدء الذي لا بد منه لشاعر عربي. سؤال هوية. أو سؤال نسب أو سؤال اسم. لا يهم لكنه الى الآن مرجع لا يبدأ من دونه كلام. أمجد ناصر التقط من الأول موضوعه وبالتالي قصيدته، أجاب من الديوان الأول وبقي عليه أن يتابع سؤاله وأسطورته في الدواوين التالية. من الواضح أننا نبدأ أيضاً من محل لا يكون الا كلامياً. الاسطورة الصحراوية مفقودة منذ البداية. لا نحتاج إلى تاريخ لنعرف ذلك يكفي أن نقرأ شعر أمجد لنعلم أنها صحراء الخيال والوهم والذاكرة. لنعلم أن لا شيء حقيقياً لدى هؤلاء البدو الذين تحولوا إلى فلاحين وأهل أرياف قبل أن يتحولوا إلى موظفين وشرطة ومهربين، وقبل أن يدخلوا في العاصمة والسلطة سلباً وإيجاباً. لحظة الصحراء تلك متموجة مختلطة بل هي نفسها ذاكرة عديدة لكن التحول/الانتقال هو الذي يسمي حياة لا تملك اسماً ولا هوية، الانتقال هو الأسطورة المتبدلة. أسطورة حركة ومسافات وتحولات أكثر مما هي ذات خبرة وحكاية خاصة. اننا على الجسر وعلى الجسر تمر الموضوعات والصور والكلمات لكن الإيقاع الزمني يبقى نفسه:

«أيتها الهوادج

أيتها الهوادج
يا أجراس الصحراء
من هنا مر الأردنيون حفاة السيوف والأقدام
في أرواحهم يقدحُ حجر الصوان
وفي لحاهم المغبرة تعوي الذئاب
أيتها الهوادج
أيتها الهوادج
من هنا مر شعبي
عارياً وضامراً يسحب خلفه نهراً يابساً وصقوراً كهلة».

قصيدة من المجموعة الثانية «منذ جلعاد كان يصعد الجبل» وسنجد مقاطع شبيهة في «رعاة العزلة» و«وصول الغرباء» بل سيبدو الكتابان على نحو ما استطراداً. نص متتابع يلتزم فيه المتكلم بأن يعود مراراً وتكرارا كنوع من تأسيس متجدد للكلام، إلى سيرته الخاصة، بل إلى أسطورة الهوية المفقودة الضائعة على جسور الانتقال والمنافي والغربة. والأرجح انها أيضاً اسطورة النسب المكسور والمهد الضائع، وإذا قيل هذا الكلام من أقرب مخيلة له، أي مخيلة العشيرة الواقعية المهجورة المهجرة، فإن كلام الهوية والنسب يتخذ له محمولاً قريباً راعفاً.
ما أسميه التأسيس هنا هو نوع من تعريف متكرر للكلام بنفسه، والأرجح أن هذا الانتساب الأول نوع من تسمية المتكلم والمكان. هذا تقليد طللي بطبيعة الحال، والتقليد الطللي، على غير ما توحي به رطانة حديثة، استعارة كبرى في شعرنا. المعرفة والتغريبة اساسان في تخييلنا كله، وكلتاهما تصدران عن زوال المكان،

انزياح المكان وابتلاعه وتحوله وتقمصه في ما بعد في امكنة شتى. تبدأ الرحلة من فقد هائل لا يعوض، من زوال لا يعوضه الا بقاء الاسم المدموغ باسم صاحبه، الاسم الطوطم، النسب العائد الى اصل مفقود. نبدأ من اسم المكان الزائل كما لو كنا نبدأ من قارة ضائعة او ثقب اسود، نبدأ من العدم، من الزوال نفسه، حيث البداوة هي هذه الرحلة بين الاسم والمكان، هي هذا الاسم المركب ان لم تكن البطاقة المثلثة من اسم وجسد ومكان. بطاقة مثلثة هي فقدان يسند بعضه بفقدان. البداوة في عصر الفضاء هي ايضا اوديسة فضائية، حيث العالم نصف مسمى، حيث هو مفقود الطرف الأول والأخير. لنقل انها تحية بدوية قبل استحضار شوارد من كل مكان. لكأن هذه اللازمة البدوية نوع من مقام موسيقي، من وزن، من ترجيع يستقبل كلاماً مختلطاً منوعاً في المصدر والمكان والمخيلة. لنقل إن اللازمة البدوية إيقاع يصالح بين لغات عدة ومخيلات عدة، ذلك أن الشاعر يباشر بداوة تنقله من بيروت إلى قبرص إلى لندن من دون فرق. وهذه من دون شك بداوة معاصرة. أو بداوة مستقبلية إذا جاز التعبير. انتساب يجعله الكلام دائماً حيزاً ومكاناً، ولنا أن نستذكر أن طابع الشعر يومذاك كان قدراً من سيولة لغوية، من لغة فلكية، من استحضار للغة كلها والقاموس كله. ان اللغة كلها كانت مكان الكلام وموضوعه في الغالب، ان الشعر كان أقرب إلى «معلقة» حديثة، الى نوع من إعلاء لغوي أو مفارقة لغوية. الأرجح أن شعر أمجد ناصر مع عدد من شعراء الطور الثاني في القصيدة الحديثة بدا رجوعاً إلى «الموضوع»، أي إلى لغة محدودة وجزئية، إلى حيز لغوي، إلى اللغة التي ليست انتشاراً سديمياً بل تكوين بؤري

وحواري ومتقاطع وشبكي. الموضوع إذن بوصفه بؤرة وناظماً داخلياً أو خارجياً للكلام وحيزاً خاصاً به، ومن الواضح أن الموضوع ليس فقط عنواناً، وقد لا يكون عنواناً على الاطلاق. إنه «الفكرة» اللاحمة، غرض الكلام الداخلي ونظامه إذا جاز القول، ثمة في ذلك إعادة اعتبار للمعنى أيضاً بعد أن تراءى لوقت ان الشعر صناعة صور لا معان. أو لنقل تراءى انه لعبة صور وفي اللعب لا تصمد المعاني. لنقل إن شعرا بلا موضوع هو الشعر الذي يجد غرضه في نفسه، الشعر الذي ليس فناً فحسب بل هو أيضاً معنى وفكرة وطوبى وبرنامج حياة ومثال أخلاقي وحياتي، ثم أن شعراً بلا موضوع هو شعر حلولي، أي أن ثمة دائماً الموضوع الأعلى، موضوع المواضيع، الموضوع الذي يشهد له وبه كل شيء. ليس شعر أمجد ناصر لهذا صوفياً ولو بدا في بعض شعره أنه يستعيد لغة وجد عشقي. موضوع البداوة والانتقال الذي يتداوله شعره هو أولاً تحديد للشعر وللتجربة بحيث يمتنعان أن يكونا تماهياً مع الشعر والإنسان بالإطلاق. هناك شعر وإنسان من دون إطلاق، لكن البدوي المهاجر والغريب هو في شعر أمجد ناصر موضوع وليس موضوعاً، انه يحمل البداوة كقرينة. كمعنى أول قبل أن يغدو له معنى ثان وثالث ورابع ولنقل بكلمة أخرى أن البدوي موضوع بقدر ما هو نموذج. إنه هكذا بالمعنى الذي عليه غجري لوركا وديمقراطي ويتمان وكوسموبوليتي أبولينير. أي انه نموذج انطولوجي أولاً، يتأسس الكلام عليه ليتخذ بعد ذلك وعلى الأساس نفسه بعدا ثانيا وثالثا، وإذا كان لنا ان نزيد قلنا انه أيضا نموذج لغوي، فالبدوي ليس فقط قاموساً إذن لأننا نعود إلى الأكباش والنصال والصقور والشمس الواسعة والذئاب

والغـزلان.. إلـخ، ليست هذه مفـردات فـحسب. انهـا في الأرجح كلمـات ـ طقـوس أو كلمـات فيتـشيـة أو كلمـات ـ أسـمـاء (أسـمـاء الصـحراء والماضي)، ذلك أن أمـجد نـاصر لا يسـعى فحـسب، إلى حصـر «موضوعه» بل يسعى بموازاة ذلك إلى حصر قامـوسه، أو لنقل الى نوع من كلمات ـ أشـياء كلمات ذات حجم وكتلة وحضـور مـادي: «الأولاد المعـفـرون في التـراب»، «الشـاي المنعنـع في المساءات»، «ذهبت إلى البراري

فلم أجد الا عزلة الذئب

ووحشة الأفعوان»،

«الخزام في الأنف والثياب السود».

نحن هنا أمام كلام حرفي وشبه اصطلاحي لكن هذا في لغة كلغة أمـجد نـاصر طبقـة أولى من كـلام مـتعـدد الطبقـات. ستكون هنا الكنايات المبـاشـرة للبداوة، لكن شـعـر أمـجـد نـاصـر ينطوي في تماسكه اللـغـوي الظـاهر والصلب أول وهلة على لغـات عـدة متصـالحة وغـير متصـالحـة. هناك، إذا جـاز التعـبير الفـولكلور. «صف كـامل من نصـال توهجت/خلف اكفال الخـيول المتـدافعـة» لكنك هـنا أمـام مـخـيـلة قـد تصــدر عن فـيلم لكوروسـاوا. الاسم البدوي هنا ليس مـضـللاً بالطبع لكنه ليس نـهائيـا وازاحاته كثـيرة واستعداده للإزاحة ماثل دائماً. هناك أيضـاً الأغنية «كصقر محطم القلب، كعـاصـفة بلا اسـنان» لكن أغنيـة الصـقر هذه رغم منبتـهـا الصـحراوي صـالحة لكل الأرصـفة، وهذه العاصفة التي بلا أسـنان قد تصفر في أصـقـاع أوروبا الجليدية. لقد عصـرت المدن والمدن العالمية بالـطبع «ازهـار الشـرفات المطلة على حداد/ومسـاء بسيط» انهـا المدن العالميـة لا الأرياف والمدن المحلية ولا سلطـات الاستـبداد الخـاصـة فـحسب هي التي ردت «خـيول الصـبـاح المنيـر» وعـالم

الغزلان والأكباش. لكن المسافة بين المسرح الفولكلوري والمدن العالمية كبيرة بمقدار مخيلة أمجد ناصر وبمقدار إزاحته السريعة. بالأحرى بمقدار زمن امجد ناصر المتحول المتحرك، فالأرجح ان حسرة البدوي وحسرة أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر حسرة بلا مكان «كل كلامنا القديم قيل بلا رحمة/كل ما اشتهينا فعله اقترفه الآخرون/في فجاجة» حسرة الغجري، البدوي، المخلوع، المنفي، الغريب، هي أيضاً تنهد عوليس المعاصر وهي أيضاً حكمة كفافي التي تتستر على شهواته أو هي مرثية العمر الهارب نفسها، وهي تسكع الماغوط و«الزن» الحديث «أريد أن أمشي وحيداً وأغلق باب الحديقة ورائي» وهي الخروج من المضرب الشخصي، من مربع المتكلم إلى المرآة «ما من مرة الا وأزاحم مخلوقات سريعة الغضب على منافض السجائر» وإلى المديح والقبول «أفكارهم أضاءت مواضع أصابعنا على ثقوب الناي».

المسافر الذي لا يلوي وراءه هو نوع من عوليس أو بالأحرى من سندباد بري، فشعر أمجد ناصر ترابي إلى حد بعيد وأحسب أن به رهبة من الماء، رهبة من السيولة. الصلابة هنا هي المثل. والعالم قبل كل شيء كتلة وحجم وحدود واضحة سندباد بري يتقمص صنوفاً من الوجوه والأقنعة والكلام وله رحلة في الزمان والمكان، من المربع الشخصي إلى المرآة. من الأمكنة التي تنفتح إلى ما لا نهاية. إلى الزمان الذي يضيع في تاريخه. من البورتريه الى الفريسكات الكبيرة ومن العبارة البسيطة إلى تلافيف ودهاليز العبارة المدورة. رحلة إلى الأكثر تعرجاً وازدواجاً وإزاحة وتركيباً والتفافاً. ولنقل ان كل ذلك يحدث بنوع من مخيلة مادية، بنوع من وضوح عصابي ووضوح اكتئابي كما بوسعنا ان نتكلم عن كافكا.

من المفرق إلى بيروت إلى لندن. من البدوي إلى العاشق المجنون والماجن والمستحيل. من العواصم إلى التاريخ المسلوب في غرناطة. كل ذلك من استحالات السفر العوليسي والرحلة التي تمضي من تراب الى تراب، من الوعورة إلى الغابات الاسمنتية وشبكات الشوارع. انزلاق فانزلاق، لكنه ليس انزلاقاً فحسب. المفرق مرئية من لندن. غرناطة موجودة في بيروت، ومجنون ليلى في بارات أوروبا وربما مواخيرها. اللحظة المركبة الصلبة، نوع من السفر في اللحظة، نوع من مكان مركب وزمان مركب. لا ينتهي السفر لكنه يزداد ثقلاً، سفر العاشق في جسد المعشوقة. أو طوافه حول المعشوقة. انه سفر في العمق لا في المدى، سفر الشاعر في وعر اللغة وصخر اللغة هو نحت والنحت أيضاً بطيء ثقيل لكنه دائماً السفر الذي يبدأ من إشهار الاسم وإشهار الكنية.

أقدم نفسي وأبدا رحلتي أعلن نسبي واسمي وأبدأ غربتي، هكذا يبدو، السفر من الأساس ابتعاداً متدرجاً عن الاسم والنسب والنفس. هكذا يبدو السفر نوعاً من الذهاب في الطريق المعاكس:

«الذين يعرفوننا قديماً لن يعرفونا بعد
مضى وقت الخروج من الحفل ورفع الأقنعة
مضى وقت استعادة الأسماء».

لغة صلبة مسننة محددة وترابية، لغة رجولية و شبه رجولية. ليست لغة سيالة بطبيعة الحال لكن أمجد ناصر يلاعب الصعب. انه يقصّب من هذه اللغة غناء فولكلورياً. يوسعها بقدر من المأثور أو ما يحاكي المأثور الشعبي وغير الشعبي. يدخلها في نوع من التنقيط (الحصان/ والمسافة/ والسوط) وينحو بها إلى ما يشبه القصيدة الموضوعية (القمصان، الأحذية) يعرضها لتقطيع نغمي

مفصلي (كره وانتفض/وغنى ففاض/ من تسامق واحتد).
وبالتوازي لتقطيع سينمائي، لما يشبه كادرات ومشاهد. يتوجه الكلام من المتكلم والمخاطب إلى الغائب. من المواجهة إلى المرآة، ومن التنقيط والتقطيع إلى التدوير والفريسكات الكلامية. من المفرد إلى الجمع ومن المتانة أحياناً إلى الفصاحة والفصاحة ليست سيولة بقدر ما هي نحت. ذلك أن أمجد ناصر بعد أن يقدم نفسه باسمه ونسبه يقدم نفسه بلغته. والنحت والمضاء في اللغة هما افتتان وفيتشية أكثر منهما ترجيعاً وحداء. في «سر من رآك» ذلك الحب الفيتشي، إذ يؤدي امتلاك المحبوب بتقطيعه وتصنيمه عضواً عضوا الى نوع من لغة شبه فتشية أيضاً، إلى حد انها لغة التسمية (الحقوان وما يطويان قبل المياه/وردة الدانتيلا السوداء في أعالي الفخذ/ الأعضاء تتنفس وتكنز ثروتها) لكنها أيضاً لغة تعزيمية (أذرفي يا خرزة الأفعى/ يا عين الغفلة القاتلة). لا نجد هنا سيولة بل نجد نصا باروكيا وأنواعاً من اللغة والأسلوب كأنما امتلاك اللغة كامتلاك الجسد يتم عضواً عضواً وجزءاً جزءاً، اشتهاء اللغة هو أيضاً كاشتهاء الجسد، اللغة هي أيضاً عقار الحب والرقية والتعزيم الشافي، انها غيبوبة وسحر، وهي بطبيعة الحال معبودة لكن بأكثر من نبر. معبودة بالجنون العذري ومعبودة بالسحر ومعبودة بالمأثور ومعبودة بالارتجاز. ذلك أن فيتشية اللغة معرض لفانتسمات شتى وللغة توازي بين تقطيع الجسد وإعادة إحيائه بالبخور والتعزيم والسحر بشتى صنوفه. الأرجح أن اللحظة اللغوية تغدو مرتقى الأنفاس كما يوحي الاسم أكثر صعوبة، انها التنفس في الأدغال والضرب في معدن وصخر والرحلة عبر التمرئيات وعبر التماهي بين الكلام والمتكلم إلى حد اختفاء الأثر.

الرحلة بين الموطن الزائل والاسم الموشوم والنسب الزائح تؤدي

الى مثول الثلاثة في واحد، غرناطة هي صورة هذا الزوال المثلث، هي البؤرة التي تنعكس في نفسها وتجمع انعكاساتها الكثيرة وتقمصاتها في داخلها. تتوزع وتنشطر وتتمرأى وتتحول في اللحظة التي تعود فيها سرا لا ينال، اسما ضائع الأول والآخر. لحظة اتحاد هي ايضا لحظة تكوكب ودخلنة وتكامل، هكذا تبدو رحلة أمجد ناصر الشعرية وقد آلت الى مفترق. فليس صدفة ان يكون «مرتقى الانفاس» ختام هذا المؤلف. لقد غدا اسم المفرق غرناطة وكان من قبل غدا سرٌّ من رأى. لم يجد القارة المفقودة لكن وجه الزوال المعبود المتجوهر الكلي والأسم الذي يزحم الجسد والنفس.

ولا بد أن هذا الكتاب نوع من اكتمال، ولابد أن الشاعر في سبيله الى رحلة اخرى.

بيروت - صيف 2001

مديحٌ لمقهى آخر

(بيروت ـ 1979)

عندما قرأ سعدي يوسف شعر امجد ناصر قال عنه: هذا البدوي القادم من مضارب «الحويطات» كم هو شفاف!

إذا أخذنا بمقولة إن الشعر لا يحلل و لا يفسر، بل يستسلم له كما يستسلم الجسد لشلال في يوم صائف، فان لشعر امجد ناصر دفقة الشلال على الجسد، لكن له رعشة الصقيع الحادة.

يتراءى لنا في هذا الشعرالبدائي حالة البدوي المنحدر مع الابل صوب الحجارة، البدوي المتعطش للعشب والماء، وفي انحداره صوب مدن الاسمنت والضوضاء والعشق والمسرات المنتظرة، يحمل في دمه هجير الصحراء ورمالها ورائحة البدو وقهوتهم وأصداء المذابح والثارات القديمة. انه يحمل فوق كتفيه اشجار الزمن القديم ورموزه الاسطورية والوثنية، لا ليمجدها انما ليتطهر منها. ان لغته الشبيهة بصهيل الخيل مرة، و حفيف أجنحة القطا في الصباحات الندية مرة اخرى تعلن بقوة تمردها وانفصامها عن الروح القديمة التي تسكن طوطم القبيلة.

في هذا العبور التطهيري، الارسطي للارض المغلفة بالدم و الظلام يتقدم الشعر فوق خط الصراط طائرا منذرا بالموت والرعد معا.

في شعر امجد ناصر، الرمادي والاحمر، نسمع نبرة هذا النذير الوحشي المحمول من فضاءات الصحارى والمصطدم بجدران المدن العالية.

انه الحلم الذي ينفجر بالحزن والدم والاحباط، ومن شظاياه يتوهج الشعر.

إشارة: كلمة الغلاف الاخير للطبعة الاولى
لـ «مديح لمقهى آخر»
بيروت – 1979

الاهداء

إلى «هند»،
بانتظار الإسراء معا
إلى الجبال السبعة.

لن تجد أرضين جديدة، ولا بحارا اخرى
فالمدينةُ ستتبعكُ
وستطوّقُ في الطرقات ذاتها،
وتهرمُ في الأحياء نفسها
وتشيبُ، أخيراً، في البيوت نفسها.
ستؤدي بك السبلُ، دائماً، إلى هذه المدينة
فلا تأملنّ في فرار
إذ ليس لك من سفينة
ولا من طريق.
وكما خرّبتَ حياتكَ هنا
في هذه الزاوية الصغيرة
فهي خراب أنّى ذهبت.

قسطنطين كفافيس
ترجمة: سعدي يوسف

أبواب للسماء ولكنها.. ضيقة

I

لن اغتصبَ ملامحي بدعوى التفاؤلِ
ولكني سأنشرُ ألواحَ صدري للطيورِ
القادمة من البحر أو الصحراء، وأنفثُ
حزمةً من الدّخان الحيّ، وأهدأ.

II

أرعنَ كانَ القلبُ،
صبياً طائشَ الشَّعْر،
يعثرُ في غصونِ الليل المتهالكةِ
والمدينةُ لم تتحول بعدُ
إلى حصانٍ خاسر.

عادةً يطلقونَ الرصاصَ الحارّ بين عينيّ
الحصان الخاسر، لم تطاوعني أصابعي
المتشنّجة،
الممسكةُ بشبكة من الفراغ
أو بقبر خال من الجثّة.
تلمستُ كفاً من الحديد المطاوعِ،
لم أطلق النارَ،
فالمدينة لما تزلْ غارقة في الصهيل.

III

أين تذهبُ الأحزانُ والسجائر،
إذا ارتحلت المقاهي إلى غير عودة:
الشعراءُ الصغارُ
والرّغوةُ،
والنقدُ غيرُ الموضوعي،

والقصصُ التي تصلح للخواطر والبؤس أيضا!
أين تؤسسُ مملكتكَ الوهمية أيها الحلمُ.
....
....
إن المقاهي أكثرُ رسوخاً من الاظافر،
فما الضيرُ في ذلك؟

IV

القلبُ وهو مُضغةٌ من الإسفنج النادرِ
لا يملكُ اتّقاء العثرات القادمة من كلّ صوب.
والمدينةُ لم تتحولْ بعدُ إلى سيفٍ مُرهَفٍ
والشقاءُ أوسعُ أبوابِ السماءِ الضيّقةِ.

V

لن اغتصب ملامحي بدعوى التفاؤل

ارضاءً للزوجة والجيران السبعة
فالحزنُ، الجوادُ المرشحُ للسبق
صادفني في الطريق
ومدّ لي يدَهُ الشاحبةَ المعروقةَ،
فمددتُ له يدي،
وضحكنا معاً:
ليلُ المدينة طويلٌ،
بدون تلك الأجرام المضيئة
المكونة أصلا
من مزاج الفوسفات واللحم الآدمي،
والمقاهي برغم كونها سُرادقَ للشعر
الخائب والنقد غير الموضوعي
والسجائر المدخنة أبدا،
الا أنها صخورٌ واطئةٌ
للطيور القادمة من البحر

أو منَ الصحراء.

VI

لعمّان رائحةُ الجياد
والقميصِ الوحيد المعلقِ في خزانةِ الأرملة.
لعمانَ رائحةُ الأجسادِ المرهقة.
أفكرُ الآن:
«هل كانَ البنكُ العربيّ
قريباً من ماء السيلِ
قريبا من آخر ليل،
أم كانَ بعيداً عن قلبي» (1)
ترتعشُ الأصابعُ المشيرةُ نحو الأفق.
لا... كان صيفا لا سبيلَ الى اطفاء حرائقهِ
كان وقتاً مكرساً للانتكاسة.

VII

في المحطة يتشكلُ المشهدُ:
حقائبُ من جلودٍ وأحجام ومحتويات مختلفة،
وجوهٌ تتطاولُ
وتشرئبّ،
ملامح تأخذُ شكلَ التقلصات الحادة.
القطارُ يذهبُ الى الشمالِ أو الجنوبِ،
لا فرقَ.
الصفراتُ الطويلةُ
تصبحُ خيطاً رفيعاً
متوتراً
وينفرطُ المشهدُ.

آه ايتها المدن الاكثر بعداً من الحلم.
لنْ يصلك الصفيرُ أبداً.

أمجد ناصر

بيروت - مطلع 1979

(1) مقطع من قصيدة للشاعر الفلسطيني زكريا محمد

الجبل

I

... فيا سيدي،
يا جميلَ المُحيّا
لكَ الآنَ اغماضُ عينيكَ
بعضٌ من الثلج
بعضُ نبيذِ القرى
يعيدُ لكَ اللونَ
والهدأة الصافيةْ.
لكَ الآنَ أن تشتهي منزلاً في جنوبِ
الوطنْ
وتبدأه بالشجرْ
وأنت تحبُّ من الشّجرِ الأرزَ،
فَخُذْ أرزةً،

فرعها طيبٌ
وامضِ في الأرض، لا تلتفتْ للوراءِ
فما الأرزُ إلاّ أراغنُ أطفالنِا الميتين.

II

لكَ الآنَ بعد أن ادركَ البحرُ،
أدركتْ سهلنا الطبقاتُ العريضةُ
أن تهتدي للجبل.
فالقصورُ مطعمةٌ بالذهب
والقصورُ مطعمةٌ بالرصاص
والقصورُ على غرّة الثلج
عاريةٌ
كالحجارة.

III

لكَ الآنَ ان تشربَ القهوةَ الرائقةْ.

وتذكَّرْ:
كنتَ تغسلُ كفّيكَ بالثلجِ
والبندقيةُ في الكتفِ مائلةٌ
والصباحُ صغيرٌ على «المتن»
حينَ استدرتَ الى الخلفِ
عانقتها،
كالعصافيرِ زرقاءَ،
قبلتها،
في الفم المستثير،
الفم المشتهى.
وثبتَّ في مَفْرقِ الشَّعر،
فجرا،
قرنفلة
من دماء الرفاق.
تلكَ كانت تناولُك الطلقات،

«البيانَ الشيوعيَّ»،
تقرأُ «ايلوارَ»،
كانت تترجمه لغةً من تُراث البنادقِ
والشِّعر.
تُفْتَحُ نارُ المواقعِ واسعةً،
فتخبئُها بينَ صدركَ
والسّترة العسكرية
كانت تطاردُ خصلتها بعد أن
يرفعَ القصفُ كفّيهِ
لكنها،
حين تطبقُ كلُّ الجهاتِ
شجرا ترتديه العساكرُ
تبصرُ رتلا من القبعاتِ
وتبصرُ نهرا من القبعاتِ
وتبصرُ أرضا
تحاصرُها

القبعاتُ.

IV

فيا سيدّي،
يا جميلَ المحياَّ
لكَ الآن أن تستعيدَ السكينةَ والحلمَ:
إن البلاد التي راودتكَ فنادقُها،
مرةً في المساء
داهمتكَ مدافعُها
فجأةً في الجبالِ
وكانت بلاداً
تراشقُ حلمَ المسافرِ
بالياسمينِ الدمشقي
لا تبتغي أن تسمّي الجراحَ جراحاً
تقولُ اصنعوا لغةً وجواداً من
البرتقال.

ولكنها.........

....

....

قلنسوةٌ فوقَ رأسِ المسافرِ
ترشحُ منها الطيورُ الذبيحة.

V

هذي البلادُ مزيجٌ من الحزنِ
والشجرِ المتسامق
والطبقاتِ الفتية.

بيروت ـ مطلع 1978

الشافعي

I

[إلى صلاح الحباشنة]

واحدٌ،
ليسَ أكثرَ من رجلٍ واحدٍ،
ولكنهُ عالياً كانَ
منتشراً
كالجبال التي حدَّرته إلى السّهل،
كان عصيّاً
ومحتدماً مثلَ صخرِ الجنوب.
جموحاً
ومنبسطاً مثلَ خيلِ الجنوبْ.
إنه الشافعيُّ.

راكينُ (1) هبَّتْ على فرعه
مثل غصنٍ من النار
نادتهُ «نسوانُها» الحاملاتُ
ملابسَهُ الداميه.
يا عريسْ
أنتَ يا زينَ الشبابِ،
علّيّةَ الدار
يا قمرْ ما غابْ عن بير الكرمْ
ولا خلا الحجارْ.
الآن تأتي مثقلاً بالثلج والنوار.

II

كان «جلعادَ» (2) يدنو من السّهلِ
يدنو من العشب.
إنّ السماءَ (وننظرُ)
تلامسُ لينةً رأسَهُ المرتفعْ

فيهجسُ مؤتلقاً بالأسى
والخطى تهبطُ الصّخرَ
نازلةً للقرى
(فقدنا التجملَّ بالصبرِ
حين فقدنا الغصون)
والشافعيُّ،
تسامقَ واحتدَّ
في هيئةِ الحوَرِ
وارتدّ نحو الجبلْ.
هتفتُ به:
- ليتَ أن البلادَ التي بينَ عينيكَ،
تعرفُ أسماءكَ القرويةَ
أسماءَ أشجاركَ المائله
على أنه ماثلَ الصخرَ في قلبهِ
(كان أيضاً وديعاً وسهلاً)

فخاطبني وهو يتركُ للرِّيحِ قامتَه الناحله
- عاود الرقصَ يا صاحبي
وترفَّقْ
بأغانيكَ والشِّعر،
إنك للسهلِ
لكنني للجبالِ التي أتبينُ أطيارَها
مثلما تتبينُ وزنَ القصيدةِ،
يا صاحبي،
حين يدركُ عشبٌ خطاكَ اتئدْ
وامش هوناً على أختنا الأرضِ.

III

أيها الشافعيُّ،
ويا واحداً راودتهُ المقاهي طويلا
ويا واحداً
راودته النساءُ نحيلاً

ولكنه ما أنثنى
حسبكُ الآنَ
أنْ تبتني نخلةً من حديد وماء.
نخلةٌ في يديكَ
نجوةٌ من عصورِ الهلاك.
حسبكَ الآنَ
أن تشتهي لغةً لنُحاسِ الوطن
هكذا..
نشتهي لغةً من نُحاسٍ ونُهملُها
نشتهي وطناً مثلَ جلعادَ يوماً
ونهملُ أشجاره في الغداة
نشتهي امرأةً من رصاص
ونجهلُ من أين يفجؤها الطلقُ.

IV

سيدي
أيها الشافعيُّ
إذا غادرتْني يداكَ
وغادرتَني نخلةً للسماءِ،
فما زال جلعادُ
أرضاً لطيرِ الجنوب
وما زلتُ أعرفُ
أسماءَ هذي القرى.

عمان
1977/6

(1) راكين: بلدة في جنوب الاردن.
(2) الجبل المعروف في بلقاء الاردن.

عمال النسيج

تدورُ المصانعُ
في دورةِ الياسمينِ الصباحي
والعضلات،
في دورة الشّارعِ
المترُجل عن شجرِ العتمِ
منذ ذراعين،
في أولِ العرباتِ التي تنقلُ
العاملين إلى مصنعٍ في الضواحي
القريبة من «ماركا» (1)
تدور المصانعُ،
(تلك التي أوقدتْ نارَها
في رمادِ المدينة)
ملتفّةً بالدخانِ النحيلِ:

عاملٌ
عاملانِ
خمسونَ،
كانوا يمرّون مثلَ الفراش النحاسيِّ
مثلَ الحديدِ الثقيل..

I

إنهم يعرفونَ الخيوطَ وما تقْتَرحه
أزرقٌ للستائرِ، للجنسِ، للغرفات العليّةِ
أخضرٌ للسجاجيدِ والحرمِ الجامعيِّ
أحمرٌ: ....
أبيضٌ: خشنٌ للكفنْ.
ولكنهم يعرفون:
نقابتَهم
حجراً،
حجراً

سواعدَهم
ساعداً
ساعداً
والطريقَ إلى المطعمِ المنزوي.

II

عاملٌ
عاملانِ
خمسونَ،
كانوا يسيرون في آخر الشّمس،
فوقَ الطوارِ الطويلْ
كانوا يهبّونَ،
على مطعمٍ بجوار «السنترال» (2)،
مطعمٍ يعرفُ هذي الوجوهَ الطويلةَ
مثلما يعرفُ ظلَّ كراسيه القشِّ.
ذا يأكلونَ مع العصر حمُّصَهم

ثم تأخذهم دورةُ الشّارع المزدهي
بالنساءِ وبالضجةِ الواسعة.

عمان
1977/5

(1) ضاحية عمالية بالقرب من عمان.
(2) السنترال: مقهى شعبي في قلب عمان.

مديح لمقهى آخر

مقهى آخر

بوسعكَ،
أنتَ الذي لا يكلُّ من الارتهانِ
بوسعك أن ترحلَ الآن:
لا وجهةً
لا حقائبَ
لا ماءَ في جرَّة العُمرِ
لا زوجةً في الثياب النظيفةِ
لا مطراً في المسالك
لا نجمةً في الفضاء الذي يكسرُ الظَهْرَ
منذ انحسارِ الرضا
صحيحٌ!

ولكنه كفنٌ واحدٌ ثم ترتاحُ!
- أقمتُ طويلاً؟
ومقهى «الجزيرة» لم ينحنِ في المساء،
على ركبتيه
لم يشته شارعاً آخرَ
لم يضقْ بمساحته
وبأخشابه الشتّويةِ،
بالزُبن الدائمين
ولم يرتجلْ مشهداً للنساءِ المثيراتِ في المدنِ
الساحلية
لم ينته ضيقاً كيديكَ،
ولمْ ينتشرْ كالدماء.
- وماذا تقولُ؟
- أحاولُ أنْ أهتدي لصباحٍ
يلائمُ ترنيمتي وهوامَ الشعابِ.

صباحٌ آخر

وكلَّ صباحٍ
يفاجئُنا باحتمالِ الرحيلِ
إلى مدنِ الآخرين،
ذاتُ الملامحِ في وجههِ المستطيلِ
البثورُ الدميمةُ
ـ ما يسميه حبَّ الشبابِ ـ
التعابيرُ
والمبسمُ المتراخي.
ـ أترحلُ؟
ـ هذا الصباحُ مواتٍ؟
ـ اذا شئتَ كان..
ولكنها نظرةٌ للمدى المتباعد
تلكَ الغيومُ البعيدةُ فوقَ الشِّعاب التي لا تُرى
وأخرى لشاي «الجزيرة»

هذي السخونةُ في ملمسِ الكأسِ
وثالثة للرفاقِ المحيطين
التآلفُ في لغةِ اليومِ والفهمِ؛
يسقطُ طيرُ الفجيعةِ في دمهِ المرتخي ولا يهتدي
للبداية.

كلامٌ آخر

لم تكنْ تلكَ رغبتَهُ الوحيدةَ ولم يكنْ يحفلُ
بالمسرات كثيراً ولكن جسدَه المحترقَ بالرغبات
والمنطفىءَ في الاسفلت الباردِ واصل النشيدَ المحكومَ
قبلاً بالفجيعة والتشوف.
يحاصرُنا بالخرائط،
بالاحتمال وبالحدقةِ الفارغه.
ويبحثُ بين الوجوه عن الدهشةِ المستمرة
وبين البلاد عن الوطن المستمر

وبين الأصابع عن لسعة الاغتراب
وبين الجوارب عن لحم أنثى.
وما كان يبحثُ عن لغةٍ
تنشلُ العمرَ
والشِّعرَ
غبَّ ابتعاد الخطى والحقائبِ،
ما كانَ...
ما كانَ....
كلُّ بلاد على بُعد مرمى الحجرْ
والبلادُ التي لم تصلها اليدانْ
لم تصلها الحجارةُ بالناس،
منبوذةً في مياه الأظافرِ.
أيُّ القصائدِ لم تبتدىء بالأنا واليباس؟
وأيُّ الرياحِ التي لا تهبُّ على غرّتي؟
لمْ تكن رغبةً في عبور الضباباتِ والمطر

المتساقط في العينِ ولكنه الجسدُ المتواثبُ يحملنُي
للنشيدِ أو الانتحار.

تداعٍ أخير

لا فرقَ بين المعاطف في ثلج «جلعادَ» وبينَ
القميصِ المشجّرِ بالدّمِ في «الاشرفية»
هذي البثورُ الدميمةُ فيَ وجهكَ المستطيلِ ومقهى
«الجزيرة» في جادة «الملك فيصل»
واللهُ في أَهبة للرحيلَ، ولا زوجةٌ في ثيابك،

لا نجمةٌ في السماء
التي
تكسرُ
الظَّهرَ
منذ
انحسارِ
الرِّضا.

بيروت
نهاية/ 1978

ڤيڤا

I

خلفَ منزلِها
تنشرُ الشمسُ راحتَها الليلكيةَ
ومنزلها واقعٌ
بين دارينِ
بين حصانٍ من الخشب الشتويِّ
ومقهى يشربُ الشعراءُ الصغارُ به شايَهمْ
ويزهون بما دخّنوا من سجائرَ
وآخر ما كتبوا من قصائد
(تبتدىءُ الارضُ وڤيڤا معاً
باتجاه السماء التي لونُها ماثلٌ
للغيوم والغيومُ كتابٌ من العشب)

قيقا تغادرُ منزلَها في الصباحِ..
يفاجئُها الياسمينُ
ورائحةُ الشّاي،
وعمالُ مصنعِ «باتا»
وإذ نلتقي عند موقفِ باصات
«ماركا»
تسائلِنُي وهي تبحثُ في جيب
سترتها
ـ نلتقي في المساء؟
وتدس بجيبي طائرةً من ورقْ.
ـ انني في النقابة!

II

يقابلها صاحبي الناحلُ عند الإشارةِ
فيبحثُ في الوجهِ عن لغةٍ لقصيدتهِ
القادمه
ويوسِّعُ ما بين عينيه مندهشاً
للتناسقِ في عضلِ الجسم
[كان يموتُ على النحتِ لكن كفّيه
ضيقتان]
......
......
ستصحبُهُ الآن في موعد للاتحاد
النسائيِّ.
يخجلُ من لون سترتهِ المتسخ.

ثم حين تسائلُه:
- أين سيدةُ الأشرفية؟
يخجلُ ثانيةً مثل زنبقةَ الماءِ
فيحدثُها عن لغةَ الصخرِ،
وعن ميكائيل أنجلو،
عن عصافيرَ حائمةٍ في الشّبابيكَ
تنقرُ حبّ الندى من فروعِ النساء.

III

... وأعرفُ عينين
وادعتين
وضاريتين
إذا حاولَ الشعرَ
أو حاولَ الرقصَ
أو حاورَ الصّخرَ.
وقيقا تمدُّ له كفَّها،
وهو يبسمُ مرتبكا
ثم يقطفُ من بين أناملِها زهرةَ الياسمينِ.
فتُحدّثه عن رحلة للجنوب،
عن «الشافعي» الّذي راود الأرض أطيارَها
وابتنى شجراً للذين يجيئونَ من آخرِ الأرض
في غفلةٍ عن مرايا المدن.

IV

يبادئها صاحبي بالنشيد:
لا تُشتَرى بالذهبْ
آه يا امرأةَ الأشرفيةِ
غُرّتُك العاليه.
لا يُشترى بالذهب
وجهُكِ المستديرُ
كبدرٍ من الماء.
إن النجومَ المضيئات
إذ تترقرقُ واجفةً عَبْرَ عينيكِ
يرسمنَ جسراً من الحورِ
يمتد بين اعتزازك بالشِّعرِ،
للبحرِ درباً يضمّخُهُ البرتقالُ
ثم يراني
[كنتُ ابتاعُ تبغاً]

فيأخذ بالصمتِ شيئاً
فشيئاً
وينسلُّ من بيننا
دون أن يدَعَ الوقتَ يأخذ أهبتَه
تاركاً بين يدينا
لغةَ الصخرِ،
تحاورنُا بأصابعِها الخمسةِ
القاسية.

عمّان
1977/6

صحراء «عودة ابو تايه» (*)

I

خذوا هذه الأرضَ مني،
أيها الرامحونَ إلى الغربِ
أقصى النوافذِ في الغربِ،
أقصى التلاشي، الجنون
ولا تتركوني وحيداً
على حافةِ الأرضِ أرثي بلادي
الخراب.
خذوا هذه الأرضَ
[ما قد تبقّى من الأرضِ]
هذي الأخاديدَ
والجثُثَ المرَمريّة
لا تتركوا ولداً خلفته العشائرُ


خذوا هذه الأرض مني، أيها الراحلون إلى الحرب: أقصى التوقد في الحرب: أقصى التلاشي، الجنون
Hisam 2001

في قبضةِ الشِّعْرِ
سطوَتُهُ في انتقاءِ الكلامِ الرضيّ
ارتحالاتُهُ في غضونِ الشقاءِ،
الشقاء
الذي
لا مثيلَ
لأخشابه،
ولا تتركوني...

أنا ولدٌ خائبٌ في العشيرة والشِّعرِ
جئتُ من مضربٍ في شمالِ الرّياح
وفي لغتي نبرةٌ كالصهيلِ،
كان سوطي من جلد ثورٍ
أمرُّ به فوقَ ظهرِ اللغاتِ الأنيقةِ
والسافلينَ،

ولا تتركوني
أسمّي المذابحَ من أرضِ «جلعاد»
حتى قميصي الأخير،
أعد انتهاكات لحمي،
وأمّي التي فارقتها النبوءاتُ
أعد الندوبَ الطويلةَ في وجهِ،
وضحةَ
وضحةَ
وضحةْ..
تلكَ التي كانتِ الأرضُ
تنفثُ شهوتَها بعثراناً وشيحاً
بقعدتها في فساَحِ الصباح
وتلكَ التي لم تنمْ بين فخذين
ما شاهدتْ غير أعضائها
الذئابُ تحن إلى لحمهاَ الرّعويِّ،

تخبطُ الخيّلُ أقدامَها في الهواء
المعبأ بالمسكِ والعرق الأنثويّ لدى لمحها.
والرجالُ
الرجالُ الذين استطاعوا إليها سبيلاً
قضوا واحدا
واحداً
في الشقاء.

II

ولا تتركوني هنا،
في سماء الصّحارى
تحجُ إليَّ العقاربُ من كلِّ صوب
وتسعى أفاعي الشّعابِ إلى نُقرةِ الماء،
يا للصّفير النحاسيِّ في أفقٍ من هباء:
لقد ضاقت الارضُ في قامة الإبلِ
ثم انحنتْ دورةُ الوقت تحتَ السرّوجِ
فلا خَيلَ تصهلُ في مُقبلِ الليل،

ولا راحلَ يهتدي بالنجوم.
ويا ليديَّ
ويا للعراءِ
ويا لانهمارَ الخرابِ على جثة الشيخِ عودة
ويا للسكون الملوّثِ بالانقراض
ويا...

III

قفوا
أيها الرامحونَ إلى جهةٍ يبتليها الحديدُ
فها قهوتي ما تزالُ على جمرةِ الإنتظارِ
وها جَمرُنا المنطفىء
واضحٌ في الرمادِ،
الرما....د.

بيروت 2/1979

(*) عودة أبو تايه: زعيم عشائر «الحويطات» في جنوب الاردن أسهم في الانتفاضة ضد الاتراك اثناء الحرب العالمية الاولى، ولمن لا يعرف تاريخ الاردن يمكن له الرجوع الى فيلم «لورنس العرب» حيث قام بدور أبو تايه، ولكن على الطريقة الهوليودية، الممثل انطوني كوين.

الشجر

النشيد:

أيتها المدنُ المبهمه
يا موطنَ الحجارِ والعرقْ
أيها الزمنْ
يا مولعاً بالاندحار والمفاجأةْ
يا حديدْ،
يا طوطمي الجديدْ
أعطنا نبيذَنا القوي
ويومَنا السعيدْ.

القصيدة:

I

لنقل إنه الارتحالُ عن الوطنِ البدوي

الصغير.
انحدرتُ مع الإبلِ
مع وبرِها المتعطشِ للعشبِ والشّعرِ
صوبَ الحجارِ الكبيرةِ
والجرفِ
والمدنِ المبهمه.
وطنٌ بدويٌ صغيرٌ على كتفي واقف كالشجر
يا شجرْ..
أنت يا واقفاً فوق كتفي المهيض
تودع «عجياننَا» و«الحلالَ» الذي يشهقُ
الآن مختنقاً بالهجير.
يا شجرْ...
انت يا ضارباً في الغيومِ البعيدةِ،
في روح أمي.
مررنا على «وضحةَ» المستحمةِ بالصهدِ

والشيِّحِ،
لمّا تزلْ نكهةُ الثديِ والعنق عالقةً
في لساني،
ولمّا يزل صوتُها البدويُّ الخجولُ
يباعدني في متاه السفّر.
يا شجرْ،
أيها الميتُ والحيُ والوطنُ المبتلى بالرِّجال
الصغار
شربناكَ في أمسنا علقماً
وفي يومنا علقماً
وفي غدنا حجراً عاقراً كالسّماء.

II

مرةً ثانية
يهبطُ الشوقُ مختلطاً في الأصابع
مشتبكاً في دمي البكرِ

والحجارُ الكبيرةُ داخلةٌ في ضلوعي
وخارجةٌ من يديّ
وطالعةٌ كالحديد على غرَّتي المغضيه.
...
...
تطامنتُ حين دخلتُ «السلمونَ» (1) الصغيرَ
أليفٌ هو البارُ مثلُ بلادي الصغيرةِ
يشرّعُ أبوابه للهمومِ النبيلة،
يشعلُ للقادمين من الشارعِ المستريبِ
نجوماً نحاسيةً
كحراب المساء
ويغمرها بالعرق،
نجمةً
نجمةً
جسداً مزهراً بالحريقْ.

إننا في الحريقِ
نمازجُ بين الوجوه الأليفةِ
والماءِ،
بين الرمالِ المعافاة
والسلّ...
ونودعُ سرَّ التشتتِ في حضرةِ
العرقِ الأبيضِ المتصلبِ في زهرةِ الرأسِ.
...
...
...
...
عندها، أتسلل من عتمة البار
مندهشا بالحضارات والطرق الموصدة!
إنني المتسللُ
من عتمة البارِ

في عتمة الليلِ
في عتمة الشارع المنتحي جانبا
نحو عتمة صدريِ الثقيلة
وأهجسُ متكئاً على قامتي الناحلة:
رجالاً لهم قامةُ الرّمحِ
وعمرُ السنديانِ
اطالوا الوقوفَ على جثة البدوي الصغير
ومروا خفافاً إلى دارِ بائعةِ اليانصيبِ
اشتروا ورقاً
واحتمال الخسارة.

III

شارعُ السلط (2)
كان طويلاً ومزدحماً بالخطى
والنساء الجميلات
والشهرزادُ تقدم بيرتَها البارده.

IV

من الصبحِ
حتى الهزيعِ الأخيرِ
تقدمُ بيرتَها البارده.

عمان
مطلع 1977

(1) «السلمون»: بار للهامشيين والصعاليك في عمان.
(2) شارع رئيس في عمان.

متابعة

الظلُّ

لم يكن واضحاً
حينَ فاجأني الصُّبحُ...
متئداً كنتُ أهبطُ من سلّمِ
«السنترال»
انتهيتُ إلى شارعٍ
غائرٍ في الندى والحجارة.
وانتهى - واضحاً - إلى جانبي..
والبلادُ
الشوارعُ
مبتلةٌ بالجرائد
مبتلةٌ بنثار الحديد.

تُرى كان حلما؟
ولكن رأسي
تدحرجَ في مرجلٍ من نحاسٍ؟
واضحاً ظلَ يبعدُ
في زحمة الشّوق
يبعدُ، يبعدُ حتى التلاشي.
برهةً..
تحسستُ في موضعِ الرأس،
ألفيتُ صبارةً فوق كتفي.
تلفّتُ...
ما زال يمضي إلى جانبي.

المرأة

الصباحُ اشرأبَّ على غرّةِ المرأةِ القادمه

صدفةً يلتقي الماءُ
بالضجة الهامده.
صدفةً تلتقي بالشّجر
أعينُ الميتينَ
صدفةً نلتقي
أو لم نلتقِ؟

عمان

1977/5

احتمال

ربما يدفعُ الرملُ ما نستترُّ
إلى صفحة الماء
ربما طلقةٌ في الجبينِ
تصيبُ الرضا في الحضورِ
وتسلمنا للسكينة،
ربما ننحني لاصطيادِ صغارِ القطا
ينهضُ الشيحُ
لاصطيادِ رؤوس الأصابعِ
ربما تصبحُ الأرضُ أهلا لروثِ البهائمِ والبدوِ،
تمنحُ أسرارها للحلالِ وعجياننا البائسين
ربما نهتدي لبلادٍ جديده،
ربما.

بيروت
مطلع 1978

ثلاث قصائد إلى سعدي يوسف

الشعر

إنني ابدأ الأغنيه
بالملامة
بالقليلِ من الخمرِ
أو بالتهكمِ من لهجتي البدويةِ
لم تبق للقادمينَ من الشعراء،
ولي،
غير نافلة من كلامٍ
وشبرينِ من آخرِ الماء
أغلقتْ في وجهنا القنطره
«فها نحن نشقى»
باوجاعنا اللغويةِ
نشقى لأنَ القصائدَ

لا تطفىءُ الأسئله
ونشقى لأن القصائدَ
لا تبلغ المرحله
وها ذي قصائدُنا ورقٌ ناشفٌ في
الحلوقِ.

الرصاص

دائماً
مثلما تكتبُ الشعرَ
لامرأة في جنوبِ العراق
لها غرّة كالخيولِ الصغيرةِ
أنت قاسمتها حزنَها
والسجائرَ
في لحظة الاشتباك

مع السّفرِ المغربي
تجيءُ الرصاصاتُ
أقربَ للقلبِ
من جهةِ الانظمه:
تكونُ الرَصاصاتُ
في شارعٍ منتحٍ لليمين
تظللهُ الخطواتُ التي لونها
واقعٌ في الغموضِ
والرصاصاتُ في سترة
أنت تعرفُ صاحبَها جيداً.

الذهب

بأيدٍ توهجَ فيها الذهب
يحملونُ الحقائبَ.

جلدُ الحقائب
ينبتُ فوقَ ظهورِ الجياد
وهم يقتلونَ الجيادَ
لصنعِ الحقائبِ والقبعات.

بيروت
1978/3

الفتى

[إلى زكريا محمد]

القصيدة

ولي، أن أتابعَ هذي الطيورَ التي
تتشربُ روحَ الفتى
قهوةً في الصباحِ المديدِ
وتستلُّ من دَوْحةِ القلبِ
نصلَ القصائدِ
والطيرَ،
والحجرِ الحيَّ،
والنسوة العارياتِ.
ولي، أن أتابعَه
كاملٌ في العذابِ
دائرٌ في كؤوسِ الشرابِ،

مائلٌ باتجاه ذراعي
ولي، أن أراهُ كما أبتغي:
صاخبٌ صاخبٌ في اندفاعاته جهةَ
الشّعر لكنّ ملامحه الخارجيةَ
لا تشي بذلك. ليس جميلا كما تظنُ صديقتُهُ
الأرمنيةُ التي تكوي ثيابها في الصبيحة تحت
النافذة، وقد اعترف باحدى قصائده المنشورة
في صحيفة (الشعب) الأردنية قبيلَ إغلاقها، أنه
نحيلٌ أكثر مما ينبغي لفتى في السابعة
والعشرينَ
وربما يميلُ للدمامة، لا يعرفه الكثيرون ولا يفخرُ
به أحدٌ خارجَ أحجارِ العائلةِ الكبيرةِ القطع.

متابعات

يحاذي الصباحَ المبكرَ

في شارع السلط
يذرعُ أعضاء عمّان
باللمسةِ الباطنيةِ
بغتةً،
يأخذُ اللونَ
شكلَ القميصِ النظيفِ
ووجهَ الفتاةِ التي
ناولتهُ أصابعَها
ثم مفتاحَ شقّتها
والرِّضا في الملامة.
ويهبطُ مثل بلادي التي تهبطُ الآن
صوبَ براري الدمِ العربيّ:
انتهى رائقُ العيشِ
يا أيها البدو،
ردوا فتاكُم
وقولوا الذي خبأته الضلوعُ

وقولوا الذي حاورته الدموعُ
وقولوا الذي لا يقالُ.
أتابعُه،
ثم أهجسُ:
هذا الفتى حائلُ اللون
مشتبكٌ في الخطى
أتابعُه
ثم أهجسُ:
هذا الفتى ناقعُ اللونِ
محتدمٌ في الهوى
أتابعُه،
ثمةَ:
الوجهُ
والظلُّ
والمرأةُ الأرمنيةُ،
يمدُ يداً ساورتها الدماءُ

إلى جيبِ سترته
ويطلقُ عصفورةً من ورق
صوبَ نافذةٍ في الجدارِ القريبِ من
الكتف.

موت الاغنية

قال لي مرةً:
(نادراً ما يقولُ)
الأغاني يداهمها التافهونَ
فتنأى عن القلبِ
طيراً من الرغوةِ المعدنية.
أقولُ لهذا الفتى:
(حائرٌ ما أقولُ)
ترُى، مالذي نفَّرَ الشِّعرَ منا
وأسلمَ كفَّ القصيدةِ للنار؟

أنا حائرٌ ما اقولُ
أتابعُ شكلَ اختلاطكَ بالناس والأتربه
أراكَ تحطُ الخطى،
وتشيلُ الخطى
وتذوبُ الخطى في شوارع عمّان
والشِّعرُ ينأى
وتنأى الأغاني
وينأى
الوطن.

بيروت
1978/4

كونكريت

تأخذُنا الأقدامُ
إلى حالات مقتضبة
في العَتْمِ، لاً نجرؤ علًى الابتعاد كثيراً
وغالباً ما يَحدثُ هذا في العمائرِ
الكبيرة، والمنافي
نصعدُ أَحجارَ السُّلّمِ،
المتراصّةَ
المربّعةَ،
الغافيةَ.
نشعلُ عودَ ثقابِ
(إذا كنا نضمرُ محبةَ التبْغِ)
نمدُّ أيدينا،
تصطدمُ بالملمسِ البارد،

ألواحٌ من الإسمنت شديدةُ التماسُك.
تساقطُ فتائلُ «الشيّدِ» والروماتيزم.
نرتقي أحجاراً أخرى
نمدُّ أيدينا أيضاً،
لا أخشابٌ تشيعُ الأنسَ
ولا ملابسُ داخليةٌ.
نشعلُ لفائفنَا
لنطردَ بالدخان الحيِّ
سطوةَ الوحدة الاسمنتية
ولكي نؤكدَ شجاعتنَا الغريزيةَ المهذبةَ
نطلقُ لحناً كنداء الاستغاثة،
الأبوابُ من الحديد الصلْب
أقفالٌ كعقارب السّهوب الاستوائية
تنبضُ على الأبواب.
إلى أين تأخذنا الأقدامُ

المكونةُ من عشر أصابعَ؟
إنها أقدامُنا ذاتُ الأجراسِ العشرةِ
المبحوحة
صاعدةً مدارجَ الكونكريت
بمزيجٍ من الألياف
والخوف،
وقليلٍ من الدم،
إنها أقدامُنا،
صهواتٌ واطئةٌ،
تسبحُ في براري الإسمنت.

بيروت 6/1979

نشيد وثلاثة أسئلة

I

الكلامُ فضةٌ
والشِّعر ذهبٌ
والنساءُ رنينُ المعدنين
والقصائدُ
لغتُنا من الآن فصاعداً،
لنبدأها إذن دونما استعارات أو تهويلٍ
ولننظرْ إلى الأشياء الحيَّةِ بيننا
بكثيرٍ من التبجيل.
وليكنِ النشيدُ
احتفالاً بالرّضا
والمسرّات المقتصرة على الرّعاة
اولئك الذين
تبعثرت ألحانُهم ورائحةُ آباطهم

بين الشعاب والهشيم السائب
ومضوا الى غير رجعةٍ.

II

هل نهتفُ في بوق الفضّة:
كيف يحيا الرّعاةُ دونما أغانٍ
وحملانٍ
وغوايات؟
بل سنهتفُ:
كيف يكونُ ثمة رعاةٌ بلا مهارٍ ونايات
وجروحٍ لا تندمل؟

III

الكلامُ فضّةٌ

والشّعرُ ذهبٌ
والنساءُ رنينُ المعدنين
والقصائدُ لغتنُا من الآن فصاعدا.
إذن
لنكرِّسَها للذين مضوا إلى غيرّ رجعةٍ.
إلى:
رعاةِ الغبشِ المنمنم
والتهاليلِ المرتدية ثيابَ العرس
النسوةِ اللائي غوينَ أشرسَ الوعولِ
وأثرنَ شبقَ النحاس
الاعشابِ ذات الفصلِ الواحد والآبار المردومة
العقُبانِ والكواسرِ الليليةِ وأصنافِ فصيلةِ النمرِ العربي
الصّنوجِ والسنّابكِ وأحلاسِ الغزوات
المطرزةِ بدماء القبائل.

صيحاتُ الفتيانِ الذين لم يفرغوا من
تطبيعِ مهارِهِمْ
رحيلِ أقوامٍ بأكملها من المضارب
إلى لجامِ الحديدِ.

وأبعد من ذلك،
حين تفاجئُنا النايات المهشمةُ
والعظامُ النّخرةُ
والقبائلُ البائدةُ بثلاثةِ أسئلةٍ محددةٍ:
ـ كم مضى من الدهر؟
ـ هل اندملت الجروحُ القديمةُ؟
ـ ما هي الأسماء التي ما تزالُ صالحةً للتداول؟
بماذا نجيب؟
هل نكتفي بالقول:
الكلامُ فضةٌ

والشِّعرُ ذهبٌ
والنّساءُ رنينُ المعدنين
والقصائدُ لغتنُا من الآن فصاعدا؟

هلموا أيها الرعاةُ إلى قِصاعنِا العامرةِ
لنشرعَ بالتهاليل.

بيروت
1979/ 6

منذُ جلعاد كان يصعدُ الجبل

إلى «يارا»،
آخر غزالة في البريَّة.

عندما حَصلْتُ على الأكثر من أحلامي
حَصلْتُ على الأكثر من الصحراء
وبعد ما صعدتُ العرشَ والشّجرَ
الخاليةَ منه الدنيا
حواني شجرُ البرد
ولم أتحطم لكني تعبتُ
ولن يبكيني أحدٌ
حقا
ولن يرتعشوا لغيابي
حقا كما كنتُ حاضرا
ولن يستوحشوا مثل برجٍ
ولن يموتوا عليّ موتاً يضاهي حياتي.

*

أخذتُ ما يؤخذُ وما لا يؤخذُ وتركتُ ما يترُكُ
وما لا يتُرك..

أنسي الحاج

أيها الكمانُ الغريبُ، أتلاحقني؟
كم من المدنِ البعيدةِ غنى فيها
ليلُكَ الموحشُ إلى ليلي؟
أيعزفُ عليك المئاتُ؟ أم عازفٌ واحدٌ؟
هل في جميع المدن الكبيرة
أولئك الذين بدونك
كانوا ينتحرون في الأنهار؟
ولماذا أبداً تصادفني؟
لماذا عليَّ أن أكون جارَ الذي
بخوفٍ يَجْبُرُكَ على الغناء
وعلى القولِ: إن الحياةَ أثقلُ
من ثقلِ الأشياءِ كلِّها.



راينر ماريا ريلكه
ترجمة: فؤاد رفقة

أيُّ الأناشيد تلك

I

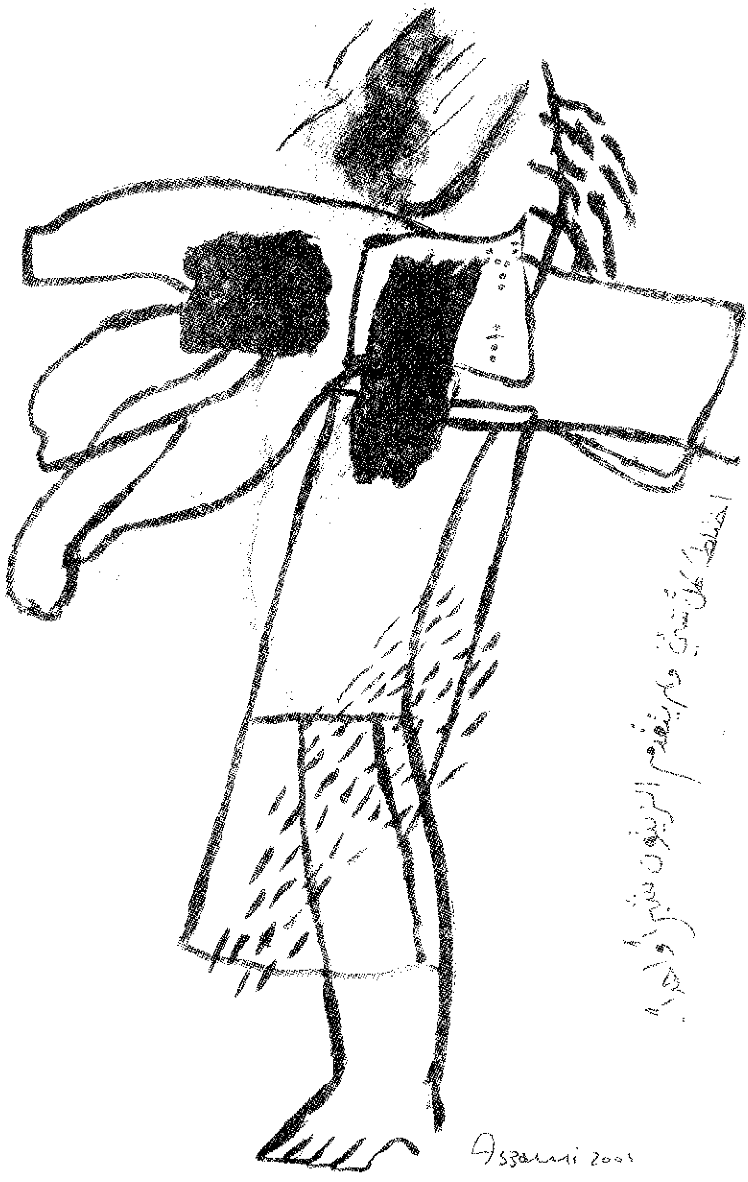
ماذا نفعلُ بالجبال الأكثرِ علْوا من قاماتنا نحن
الفتيان المزهوينَ بأغصان الفتُوّةِ ونُحاسِ
القبضات؟
تنأى الأكماتُ والكينا وأشجارُ التّرمسِ البرّيِّ،
ويتسعُ قلبُ الأسمنت، وتنفردُ غزالةٌ بالركضِ
على قميص «المؤابيّ»، وتقتربُ سنابكُ الهجانةِ
وصليلُ الخيزرانِ، وسياراتُ الجيبِ المكشوفة..
أيّ هلعٍ يُصيبُ الحبارى آنذاكَ. أي ارتجافٍ يشيلُ
الضحى المتباطىءُ بين أعشاب الشيحِ
ونُقُرّة الماء، ويحطّه شظايا؟
أيّ شعرٍ إذن سيعيدُ لنا لسعةَ مياهِ الفجر في

ـخول الشمال؟ أيُّ الأناشيد ستنُهضُ فينا
ـــراتِ القديمة، وتعيدُ دفءَ الصباحاتِإلى
ـب العارضين؟

II

ـسعَ نطاقُ المغامرة فدلفنا إلى القصيدة والأرض.
ـختلط كلُّ شيء بكلِّ شيء، فجاء الأردنيون من
ـرّع المهار الى خيام مشدودة على أسنّة
ـحراب التي تدّعي أيدينا وتدّعي لوننا
ـتخطفُ من «عجياننا» حليبَ النوقِ وغرّةَ الفرسِ
ـحجلة.
ـسعَ نطاقُ المغامرة فجاءت نساؤنا إلى صفيح
ـن، الوشمُ تحت الشفة السفلى أو على الزند، والخزامُ في
ـأنف، والثيابُ السودُ إعلاناتٌ على أزمنةِ النفي

والطرادِ.
جاء الأردنيون من أوسع بريّةٍ وأكبر شمس
ودخلوا في حاضناتِ الرصاصِ وأنفاق
الفوسفات ومغاور البرق؛
جاؤوا من الشمال والجنوب، من البحر الميت
والصحراء، فألفوا المدينة مُتناهبَةً بين سدنة
الخرائط
وتجار المَواشي وموثقي العقود.
كانت «فيلادلفيا» مُعدّة لاستقبال الأمير.
الإحتفال والنشيد لهم
ولنا مشاريعُ
التوطين والسدودُ النخرةُ والمعلبات.
واهراءاتُ «روما» اندلعتْ في اسطبلات خيلِ
الأمير.
اندفع العبيد باتجاه التمثيل الضوئي ومقالعِ



الكلس، يخصون الثيران ويحددون الأرضَ
فالعمامةُ البيضاءُ استوتْ على رأس
الأمير والحاشيةُ انتظمت في وبر الجمالِ،
والطرقُ
شقّتْ وبهائمُ البريد سيُرِّتْ. اتسع نطاقُ
المغامرة
فجاء «كَليب الشريدة» (*) مع رعيل الخيلِ
والأنصارِ وتحصن بالزيتون. البواريدُ ذواتُ
الطلقة الواحدةِ في يدٍ واللّجامُ في الأخرى،
فَسَرَتْ
رعشةٌ في ظهورِ النساءِ فأطلقْنَ الزغاريدَ
وعَجنّ
الحنّاءَ.
اختلطَ كلٌّ شيء بكلِّ شيءٍ ولم يتقدم الزيتونُ
شبراً واحداً، ولكنّ الطواحينَ ظلّت تدور.
من الشمالِ إلى الجنوب ظلت أحجار الرحى

تطحنُ القمحَ
والندى وأصابعَ النساءِ، تطحنُ
مناديلَ الأعراسِ
والحلمَ المخاتل.

III

فإذن، فإذن، من سيوقدُ حجراً في
الشعاب والأغوار، حيث يُقعي ذئبٌ،
وتصفرُ أفعى، ويخرُّ شواظٌ على
سائرٍ متوحدٍ
في بهمة الليل؟

أ. ناصر
بيروت 10/1980

(*) قائد انتفاضة فلاحية في منطقة «الكورة» شمال الأردن في العقد الثالث من هذا القرن.

غناءٌ منفردٌ للوحيد

[إلى تيسير سبول]

«يا للشقاء!
أطفىء مصباحك.
الطائرُ يصرخُ»

سان جون بيرس
ترجمة: أدونيس

I

لعينيكَ إذ توشكانِ على الانطفاء
في ذاكرة النحاس
« يضيقُ الكلامُ وتتسعُ الرؤيا»
وتنخرطُ المعادنُ
في نشيج الضوء.
لعينيكَ إذ تشتعلان

وتحترقان،
رويدا،
رويدا، أقولُ:
سلاما أيها المطعونُ بالمديةِ الذهبيةِ،
سلاما أيها الصقرُ.

II

لوجهك إذ يصدمُ المرأةَ الناحلةَ
ويُهجّجُ عصافيرَ النهدينِ
أقول: سلاماً
وأفرطُ غيمة من أزهارِ الدفلى في كأسي.
للمرأة التي أحببتَ،
وللنساءِ اللائي يخلعنَ جواربَهن
الحريريةَ في الحلم
للشِّعر الذي عذبك ولم ينبجس،
وللموَتِ في بزّتهِ النُحاس، أقولُ،

سلاماً.
للأسرارِ التي منعت من التداول،
للصحافة المحليةِ البائسة وللحوارِ الأخيرِ
الذي لم يكَن عن أَنبوبةِ الغازِ
وموعد القهوةِ الصباحيَة
للمراثي التي تَنضحُ من إبط شعراءِ الخميس،
للخيولِ المقتولة في المزارعِ القريبةِ
من «الازرق» (*)
وللشركس الذين يتناسلونَ ويهرمون
في «وادي السير» وفي أعينهم تلمعُ قممُ القوقازِ
زرقاءَ
وللطفيلة التي وصلتها حديثا
النسخةُ العثمانيةُ من القرآن،
ولأشياءَ لم تقلها
ولن نقولها، خشيةَ الاحزابِ التي في السلطة
وتلك التي لم تصلْ بعدُ.

خشيةَ الشرطةِ
والرقابةَ
والزوجةَ
وإمامِ صلاةِ الجمعة.
....
....
لصوتكَ إذ يقتفي السخرية
ويثيرُ شغَبَ الرّصاص
أقول: سلاماً أيها الصقرُ
سلاماً أيها المطعونُ بنا.

III

للصحراءِ التي شردتنا قبائلها
وأهدرتْ أسماءنا ذاتَ المقاطعِ الحاسمةِ
للخناجر المطعمة بقرون الماعزِ
- تلك التي صنعها الغجرُ العابرونَ -
لحليّ نساءِ السبي،

لشيوخ عشائرِ:
بني صخر،
العدوان
بني حسن
النعيمات
الحويطات
العنزة
بني حميدة
السرحان
بني خالد
العبابيد
الحديد
الجبلية
الشرارات
بني عطية
الشعلان

للعقلُ المائلة على الجباه المتغضنة،
ولطيور القطا والحبارى المنهكة من
الهجرات
والقنص
للغوايات الصغيرة والحماقات التي
غالبا ما يرتكبها الرعيانُ،
لمئة عام من حزنك الصحراوي أقولُ:
سلاماً أيها الصقرُ،
سلاماً أيها المطعونُ بالمدية الذهبية.

نشيد

دمٌ في كتب الدراسة
دمٌ في الجملة الموسيقية الاولى
للنشيد الملكي
دمٌ في المدارس التابعة للقوات المسلحة.

صاعدٌ في المآذن
حتى انحناءِ الهلالِ. دمٌ.
في اتكاءاتَ الجبالِ السبعةِ. دمٌ.
دمٌ بين الشجرةِ واللحاءِ،
بين أفواهنِا والإبتهال.

(*) واحة في الصحراء الاردنية

أيها الاقليمُ أعلن العصيانَ

[إلى ناهض حتر]

أسئلة مقترحة:

ما الذي ينبغي قوله
أيها الفتى البدويُّ:
للأرضِ التي نعرفُ فطرها قُبيلَ الرّعدِ
ونعرفُ كبوات خيولها
ورائحةَ قراها الجافّةِ في العشيّات
للمدينةِ المتكئةِ على أضلاعنا السبعةِ،
وللأصدقاء وهم يصفطون
مناشفَ الوجه
ماكناتِ الحلاقةِ

خصلاتِ الشعَرِ المعطَّرةِ
في حقائبِ السَّفر.
وما الذي ينبغي قوله، أيضا،
يا ناهض حتر
للأشجار، عندما مسرعةً تمرُّ
في الصورِ الملتقطةِ من الريف
لزوجة النقابي
وهي تسألُ عن فداحةِ الإضرابِ
لعشائر النعيماتِ
والزريقاتِ
والنوايسة
والبطانية
وبني حسن
و....
و....

أليستْ عشائرُنا
تلك الطالعةَ من البحر الميت؟
أو ليست أغصانُنا،
تلك المتهدلةَ على جثة الرمل؟

اختيار

ما تبقى لنا
هذا الخَصاصُ، الضيّقُ،
أم تلك الشاهدةُ؟
أيهما نختارُ؟
إن مائةَ ألفِ بندقيةٍ
مصوّبةٍ نحوَ الجبل
مائةَ ألفِ كتفٍ
مائةَ ألفِ زنادٍ.

***

تثاءب ملكُ الحكايةِ السعيدُ
وقال كلمةً مبتلّةً بلعابِ الشهوة،
كلمةً واحدةً ثم
دوّت الطلقات.
عندئذ تصاعدَ الدخانُ
من رأسِ «جلعاد».

***

ولم يهوِ الجبل.

***

أيها الاقليم

ليقترب بعضُنا من بعضٍ
فرائحةُ الانسان - حتى الجثةِ -
أكثرُ إنعاشاً من رُخامِ الشاهدةِ

هذه يدي
طرقاتٌ لعبور الخيل المنتسبة
إلى «السليك بن السلكة»،
وهي ما تزال محتشدةً للمصافحة
وهذه يدي الأخرى
معبرٌ لشفرات العصر
والظلال الطامحة إلى الرؤيا،
ولما تزل متوهجةً كالجمرة
في البرّ الوحيد.
ليقترب بعضُنا من بعضٍ
قبلَ اشتداد سوافي الفوسفات
على أرضنا الخفيضة،
قبل امحاء آثار الأبل
ذات السنام الواحد.
ليقترب بعضُنا من بعضٍ
ولنفكر بابتهالات:

المطرِ
الأرضِ المستصلحة
المحاريث
الزرائب
اتحاد الفلاحينَ،
قناة الغورِ الشرقية،
السماد الكيماويّ
وقبل أنَ نُخرجَ غدّاراتنا
ذوات الطلقة الواحدة
من حظائر الماشية،
علينا أن نفكّرَ:
هل هبّتْ رياحُ الغورِ؟

❊❊❊

إذن،
أيها الاقليمُ أعلنِ العصيانَ.

بيروت - كانون الثاني 1980

صلاح الشافعي، أيضا

I

هناك، استبقتهُ المرأةُ
في البلدةِ اللائذة من
الأمجادِ المَتداولة في الحوانيتِ والمخافرِ.
هناك استَبقتهُ المرأةُ
حيث تتساقطُ أسنانُ الرجالِ وهم نيامُ
تتساقطُ أجراسُ القمحِ في البيادر
وهم يحلمون بيومٍ آخرَ
من الحصاد.
هناك استبقتهُ المرأةُ
ولمزيد من السكينة، أصلحَ نفسَهُ
أصلحَ أبوابَ المنزلِ المهجورِ
منذُ سُعال الدّيكة.
ارتدى بذلةَ العملِ الخاكيةِ

التي فرَّ بها صديقٌ من الجيش
ابتاع أزواجاً من الأرانبِ والدجاج
بعد أن دعَّم السيّاجَ بأخشابٍ جديدةٍ
استبدلَ الأقفالَ الصدئةَ وأظافره
بأخرى «انكليزية»،
ومن بلدة «الرّبة» المجاورة
ابتاع مذياعاً صغيراً وأدواتٍ أخرى.
لم ينس، بالطبع، زجاجاتِ
العرقِ المحليّ.
قالَ: المذياعُ لتزجيةِ الوقتِ
ولسماع نشراتِ الطقسِ
فالأخبارُ الأخرى لا تعني شيئاً.

II

عادَ الشافعيُّ إلى «راكينَ»، (*)

عاد المهاجرونَ إلى القرى
قالت معلمةُ المدرسةِ
وأطلقَ القرويونَ
العنانَ لمحاريثهم
يوَسعُونَ الأرض نبشاً
عن كنز سليمان.
عاد الشافعيُّ إلى «راكين»
غادر المهاجرونَ القرى
وفي حقائبهم يتناسلُ قصديرُ الوظائفِ.

III

دخلَ الصيفُ وسنامُ النوقِ من بوابةِ الصحراءِ
إلى أجران الماء ففرّتْ معلمةُ المدرسةِ من صرير
الجنادب والشافعيُّ يحصنُ قلاعَهُ القديمةَ
ويحلقُ ذقنه يوميا للقاء «نزيهةَ» والجنوبُ يسحبُ

أطرافَ ثوبه من طواحينِ الحنطةِ وينتظرُ رواتبَ
الجنودِ ومعلباتهم.
ما الذي تغير أيها المؤابيُّ بعد «جلعاد»؟
تذكر الشافعيُّ أن الجبلَ ما يزال متُكئاً
على حربِ العصاباتِ والحطبِ.

IV

المقاتلونَ انهمروا من مذياعه الصغير،
وارتجفتْ «نزيهة».

V

تذكرَّ الشافعيُّ أن الأردنَّ
أسرعُ مُهرٍ في القطيع،

وأن الشمالَ يدفعُ في عربةٍ من صفصافٍ
بنادقَ وثيابَ «كليب الشريدهِ».

VI

وارتعدتْ «نزيهة».

بيروت ـ كانون الثاني 1980

(*) بلدة من اعمال «الكرك» في جنوب الاردن

حصاد

أيتها الكَركُ
عندما تهبط عمّانُ من دوّارها
الخامسِ
ويلمعُ باطنُ فخذِها كالحربةِ،
تكونُ «راكينُ» قد نامتْ بعينٍ،
وفي العين الأخرى
تخلعُ سنابلُ القمح
قُبعاتِها لأحجارِ الرّحَى.

بيروت
حزيران 1980

أماكن

نحتفظُ من الأماكن
التي شيعتنا إلى ضجرِ الحقائبِ
بالصوّر التذكاريةِ
الملْتقطةَ مع العائلة.
صورٌ حائلةُ الألوان،
وعائلةٌ مزدهيةٌ بالسلالة
وضجرُ الحقائبِ
وبريدٌ لا ينتظمُ:
ذلكم ما تبقّى من
الأمهات.

بيروت
أيلول 1980

وحشة

إنني صالحٌ للعزاءِ
في أيّ وقت.
لا وقتَ يلائمُ حصادَ القمحِ
إلى الشمال من هذه الوحشة.
انهم يفضّون الرسائلَ في المَباني
الزرقاء.
المياهُ الساطعةُ تتسلل، الآن،
إلى وحدة الأمهات.
الأمهاتُ يَهْرَمْنَ بين
الإبرةِ والخيطِ بانتظارِ الأولادِ
والأولادُ لا يعودون.

بيروت
اذار 1980

مقاطع من سورة الجسد

I

ستكونُ لهمُ الفضّةُ في معاصمِ
النساء
ستكونُ لهمُ
الانحناءاتُ،
التفاصيلُ،
والعضلاتُ المطاوعةُ لأجسادهِنَّ.
وسيبللُ شعرَهَمُ
المنداحَ في المساءات
المقتضبةِ نشيدُ البهجةِ.

II

كانت ترتعشُ على أجسادِ الفتّيانِ
أقمارُ الرغبةِ

كانت تنطفىء ُذُبالاتُ الوَهنِ.
وكلّما اصطفقتْ أجنحةُ طيورِ
الليلِ
كانتَ الأغنيةُ
تثقبُ قَصَبَ الروحِ
من عشرِ جهات.

III

هَيّنٌ عليكَ أيها الجسدُ
مطارحةُ الرّيحِ
والمعادنِ
وفصائلِ الوحشِ.

IV

سيكونُ لهم النّحلُ

المنبجسُ من رحيقِ الإبط
ستكونُ لهم استدارةُ النَّهَدِ
وحفيفُ الأصابعِ
ولن يحلموا بأشياءَ أخرى
في هذا الحضور.
سيقرأون آياً من الكتاب
ويميلون برؤوسهم إلى الخلف.

بيروت
حزيران 1980

السنّجاب

[إلى غسان زقطان]

I

أيها الجارُ
وأنتَ المتوجُ بهرطقةِ النحاسِ
وغُبار الصدّاقة،
خلعْتَ قميصكَ المقدودَ من قُبُلٍ
في سرير الزوجة
وطاردتَ «السنّجابَ»
حتى القصيدة
وبأضلاعكَ ضفرتَ له القفصَ.
أيها الجارُ
وأنتَ تسنْدُ ظهركَ
إلى صفٍ من الإخوة المرحينَ

تطلقُ العنانَ لدخان لفافتكَ
في فضاءِ من الأصدقاء الكسالى
وتسكبُ جَرعةَ الشاي الأخيرةَ
في فمكَ المطرز ببسملة الأم.

II

أيها الجارُ
ونحنُ نجلسُ وجهاً لوجه
بين أصابعِنا يلتوي الدّخانُ
كالأفاعي الصغيرة
وفي جيوبنا يتناسلُ التبغُ
أنت تسندُ ظهركَ
إلى صفٍ من الأخوةِ المرحينَ
وأنا إلى صفٍ من قرونِ الأكباش.

أيها الجارُ
أيهار الجارُ
وأنت المدعمُ بسياج من الإخوة المرحينَ
لماذا توسلت إلى وردةٍ
تشطرُ القلبَ؟
إلى «سنجاب» يقضمُ تُوَيجَ الروحِ؟

بيروت
تموز 1980

هجاء

كصقرٍ مُحطمِ القلبِ
كعاصفة بلا أسنان
سأتكيءً على حافّة المدينة
وأصدُّ بظهري شظايا الأصدقاء
وأتذكّرُ غليونَ جدتي الطويلَ
ولن أتوهمَ فتوحات العرب الأُولِ
وبعد ذلك لن أعتقدَ أنّ باريسَ مربطُ خيلنا
ولن أنتحبَ على جبال «البرانسِ»
وهي تذوبُ بين أيدينا كقالبِ ثلجٍ
ولن أرفعَ أكمامَ ردائي
إلى حيثُ اللهُ من أجل «الغافقي»
وحين يمرُّ موكبُ ملوكِ بني الاحمرِ

أمام قدميَّ
لن أكلفَ حاجبيَّ بالتحية.
سأظلّ أذكرُ السيفَ والنطعَ
سأظلّ أذكرُ الذهبَ والفضةّ َ
سأظلّ أذكرُ الجوعَ والفيافي
سأظلّ أذكرُ الصعاليكَ والأيائلَ
يجيئون للشرب من راحة يدي
المثقوبة.
وأنا متكىء على حافةِ المدينة
مُحطمُ القلبِ كصقرٍ
مُنقطعُ الجذورِ كعاصفة.

بيروت
اذار 1980

الجَدُّ

أيَّ شيء يرتجي هذا العجوزُ؟
إنَّ أقرانهُ يسعلونَ الآن باطمئنانٍ في قبورهم
الفضفاضة.
الأشجارُ التي شهدت فتوَّتَهُ الأولى
جفَّ لحاؤها وتقوستْ.
مرابطُ خيله التي من خشب السنديانِ
انحلتْ في الترابِ المنحلِّ في مياه لا تكفُّ
عن الموعظة.
أيَّ شيءٍ يرتجي هذا العجوزُ الذي لا تقدرُّ حياتهُ
بثمن،
ولا عمرهُ بالمنازلِ التي أشادها أو بتلك المقوَّضة.
وخيولهُ التي لاقتْ مصائرَها في شعابٍ يعملُها
اللهُ وينساها ارتاحت من وطئه الثقيلِ.

أحفادُه الذين نجوا من حقول القمحِ
والفيضانات
والحروب دشَّنوا الأقاليمَ بالنساءِ والسُّلالاتِ
وأفسدوا مُدُناً بالتمرّدِ وشَدُّوا على صدورهم
أحزِمةَ الرصاصِ وأغصانَ الغارِ أدخلُوا الخيلَ
والتبغَ الى أراضٍ لم تَدُسها سوى أظلاف الماعزِ
البريِّ أقاموا الحصونَ واستصلحوا البُورَ،
وتفرقوا في البلاد.

بيروت - نهاية 1980

أجنحة

أشياؤهم التي غادروا،
ظلَتْ تتوهَّجُ في الباحة.
أيُّ عابرٍ لا يقعُ فريسةً
لسحرها الغامض؟
ومن ظلّوا هنا، كيف لا ينتشونَ
بذكرى وجوههم القويةِ المشدودةِ
على رُخامٍ حيٍّ؟
غادرونا
وظلّت أشياؤهم تخترقُ
أرواحنا كالعصافير.

غادرونا
وظلتْ أشياؤهم تسحبُنا
من أطرافِ أصابعِنا
إلى حريرِ اللَيالي النادرة.

بيروت ـ آذار 1980

غياب

الرجلُ الساكنُ المنزلَ المجاورَ،
المنزلَ المُحاطَ بالصمتِ ونشارةِ الخشبِ،
لم يَعد في المساءِ
- كعادته -
مُتأبطاً صُحفاً وأوراقاً،
مطأطئاً رأسهُ، عاضاًّ على غليون.
ذلكَ المساءُ من حزيرانَ،
مساءٌ غريبٌ:
الأولادُ الذين يلعبون بالكرةِ في الفسحاتِ،
لم يتنحوا عن الطريق في الساعة الخامسةَ.
والنسوةُ اللائي يشربنَ الشايَ المُنعنع،
أمامَ المنازلِ،

لم يغمزْ بعضُهن الى بعضٍ، مشيراتٍ
الى الشعرِ الفضيِّ للرجل
لم يصمتنَ في الساعة الخامسة.
النافذةُ المسدُلةُ الستائرِ الثقيلةُ
لم تنفتح في الخامسةِ وخمسِ دقائقَ.
الوقتُ يمرُّ
ولكن الرجلَ ذا الشعرِ الفضيِّ
المتأبطَ صحفاً وأوراقاً،
المطأطئَ الرأسِ،
العاضَّ على غليونٍ
الذي يسكنُ منزلاً مجاوراً
لم يَعُدْ
- كعادته -
في الساعة الخامسة.
نظر البعضُ إلى ساعاتهم.

آخرون هُرِعوا إلى مقهى الساحةِ
للتأكد من ساعة الحائط.
لكن الساعاتِ، كلَّها، كَفَّتْ عن النبضِ.

***

الساعاتُ
كلُّها
توقفتْ
في الخامسة.

بيروت ـ كانون الأول 1979

تَعَبٌ

أرهقني قميصي
أرهقتني يداي.
(وجيراني لا يكفونَ عن الجنسِ
والشجارِ، وعندما نلتقي
عند بابين، يبتسمون
بكامل أسنانهم فأفتعلُ وجودي).
أرهقتني الرسائلُ التي أنتظرُ
(من سيكتبُها، أيُّ الطوابعِ يجلبُ المسرَّةَ؟).
أرهقني الوطنُ الذي ينهشُ لحمي ويرسلُ في
أثري الكسادَ وثيابَ المنتحرين.

أرهقتني قصائدُ تيسير سبول
والآخرون يتابعونَ نشرَ أعمالِهم
الساقطة.

بيروت - نيسان 1980

أصَيصٌ

هذا ما تريدُه، إذن:
بندقيةُ الصيد
وسَرجُ الحصانِ
وصُرَّةُ التبغِ المعلَقةُ في السقّفِ.
هذا، إذن،
ما دعاكَ إلى العودةِ
خُذ أيضا
حزمةَ الأوراقِ الملونة
فما تزالُ تصلُحُ لإشعالِ الحطب
وأدواتِ الحلاقة - تلك - التي على
الرَّف
وسترةَ الجلدِ..

وأيضاً زجاجاتِ النبيذِ المطمورةَ في
القشِّ،
لا تأسَ
فأزهاركُ تنبتُ، الآن،
في أصيصٍ آخرَ.

بيروت - نيسان 1980

شهداء

الرضى فداحةٌ أيها الاصدقاءُ
يا أيها الاعداءُ.

***

ما الذي ننتظرُ بعدُ؟
لدينا عددٌ لا بأسَ به من الشهداء.
والأكاليلُ البيضُ، مصطفةٌ بانتظامٍ
بمحاذاةِ الرؤوس.
ما الذي ننتظرُ بعدُ؟
لدينا عددٌ لا بأسَ به من الأسماء،
وعرباتُ الموتِ تَصفِرُ في الشوارع.

***

الوردُ منقصفٌ من السّاقِ
والوقتُ مُحدودبُ الظَّهرِ
والأوطانُ مرتجلةٌ
والراحةُ مثقوبةٌ بخمس رصاصات
ونهر
والشهداءُ يتهدلونَ من أعناقنا.
الرضى فداحةٌ أيها الأصدقاءُ
يا أيها الأعداءُ.

بيروت
أيار 1980

زهرةٌ واحدةٌ

أزهارٌ في شَعْرِ المرأةِ الذاهبةِ
إلى الرقص.
موسيقى وقبلاتٌ وخواتمُ
في جسدِ المرأة.
أزهارٌ في الشرفاتِ المطلّةِ على حدادٍ
ومساءٍ بسيط.
حرفيّونَ ومتقاعدون
عشاقٌ عاطلونَ عن الحُبِّ
بقالون، ومساءٌ واحدٌ أمامَ
الشرفات.
أزهارٌ في غرفة الروائي المفتون بالوعولِ

وعولٌ وثوارٌ مقتولون في غرفة الروائي
أزهارٌ ووعولٌ وروائيٌ في غرفةٍ واحدةٍ.
أزهارٌ في أصُصِ الفخّار الملونِ.
فَخّارٌ ملونٌ وقرميدٌ للمنازلِ الآهلةِ بأحماضِ السعادةِ.
أزهارٌ وشبقٌ وجواربُ حريريةٌ مُهملَةٌ
في غرفِ نومِ الطالبات الجامعيات.
طالباتٌ جامعياتٌ ونبيذٌ
وحبوبٌ لمنعِ الحملِ في شقق الطلاب المفروشة.
الطلاب: منخرطون في النساء والمظاهرات.
أزهارٌ في قصائد الشعراء
قملٌ في رؤوس الشعراء.
الشعراءُ يتسكّعونَ بلا أزهار ولا قصائدَ.
قرنفلةٌ في سترة السياسي العجوزِ.
السياسيُّ العجوزُ أقلعَ عن القرنفلة
احتجاجاً على الحربِ

الحربُ لم تنته.
أزهارُ الفصولِ الأربعة
في حديقة البرجوازيةَ المطلقة
التي تقودُ سيارتَها كلَّ مساءٍ
بمحاذاة البحر.
البرجوازيةُ المُطَلّقةُ تبحثُ عن ثغرةٍ
في سياج الرجلِ.
أزهارٌ كثيرةٌ
وزهرةٌ واحدةٌ لي:
تلك
التي
طوّحها
غريبٌ
عَبْرَ
نافذتي

ظانّاً
أنّ
حبيبتَهُ
القديمةَ
لمَّا
تزل
تسكنُ
هنا.

بيروت
آب ـ 1979

ضفيرة واحدة

ضفيرةٌ واحدةٌ
ضفيرةٌ من سَعَفٍ وعويلٍ
ضفيرةٌ واحدةٌ لي.
وقلبي يهتزُّ بين الليل والنّدى
كحربة متساقطة الأسنانِ.
ضفيرةٌ واحدةٌ من دخانٍ بعيدٍ
للغريبِ الذي أنا أو اللهُ
غريبٌ فَي المضارب المصطفقةِ:
ناءٍ
موحَشٌ
يابسٌ
مبُتّلٌ

ساكنٌ
عاصفٌ
في مضاربَ بعيدةٍ ومصطفقةٍ
قلبي أو اللهُ.

ذلك الرجل، من أين يجيء؟

ذلكَ الرجلُ الذي أضربُهُ على قفاهُ
يُحرّضُني على الباعةِ المنفردين
في الشوّارعِ المنفردة، ويستلُّ من باطنِ كفي
شُعيرات دموية يمضغُها في سُرورٍ ثم يختفي.
ذلك الرجلُ الذي أضربهُ على قفاهُ
يحرّضُني على اللصوصِ المبتدئين
في أسواقنا المزدحمة بالجراء القذرة
وخُضار الريف، ويستلُّ من كتفي فتيلاً من
اللحمِ

يمضغهُ في سرُور ثم يختفي.
من هو ذلك الرجلُ الذي أضربهُ على قفاه
يحرّضُني على الصّغَائِرِ ثم يختفي؟

بيروت
أيلول 1980

مطالب

وزِّعوا علينا أشياءَ جديدةً
غيرَ تلكَ التي بليَت:
نساءً يصلُحنَ لإيقادِ الروحِ والحطبِ
وتربيةِ اللحى والدواجنِ.
وزِّعوا علينا قفّازاتٍ مضادةً للكيمياءِ،
أياديَ صالحةً للمصافحةِ
ومقابضَ الخناجرِ
وللزُّجاجِ المتساقطِ من الفمِ.
وزِّعوا علينا أجراساً للرّقبةِ
وأخرى للأبواب.
واذا تيسرَ، فثمةَ نقصٌ في الإنشوطات
وزِّعوا علينا بطارياتٍ للمحبةِ
وللمذياعِ

وللشّهية.
وزِّعوا علينا المزيدَ من الملابسِ
فالشتاءُ المنُصرِمُ كانَ قاسياً
أكثرَ مما تظنون.
[ملاحظة: تذكّروا الملابسَ القُطنيةَ الطويلةَ]
وزِّعوا علينا:
أراضيَ جديدةً
ملوكا،
ورؤساءَ جمهورياتٍ،
محاكمَ
وقضاةً
شرطَةً
ومساجدَ
شيوخَ عشائرَ
وأحزاباً مُساوِمَةً

رسلاً وشعوباً
وزِّعوا عصيّاً أغلظَ من تلك التي
تتهشم على أجسادنا فورا.
وزِّعوا علينا قبوراً لائقةً
وأكفاناً أكثرَ بياضاً
من تلك التي ترُسِلونها عادةً.

بيروت ـ تموز 1980

إعادة كتابة

[إلى عبد الرحمن الأبنودي]

الرجل الأصلع

الرجلُ الأصلعُ تماماً
الرجلُ الأكثرُ صلَعاَ بين الرجالِ المنخفضين
مرَّ من هنا
بمحاذاةِ النَّهارِ ذي الوردةِ
بمحاذاةَ شايكَ المُنعنعِ
ألقى عليكَ مناديلَ التحيةِ
كان مسرعاً
في الضّحى المذهَّبِ كعباءةٍ

ظلَّ مسرعاً
باتجاه الرؤوس التي تنحني
في مداخلِ السيدة.

الصبية

الصبيةُ التي يجري في شرايينها
دمُ الخيولِ المطعونة
في معاركنا القديمة.
اليدان الطينيتان
اللتان يجري فيهما اكثرُ الدماء نفوراً
للصبية التي حاذت إقليمَ شعرْكِ
الصعيديّ
كانتا تحملان

صحناً من الفولِ
أكثرَ نقصاً من صحون المارة.
الصبيةُ التي تُشاغلُ نظرتَكَ
بحركةٍ خفيفةٍ من الكتفين
انفرطتْ كشُجيرةِ فولٍ
في أول الملامسةِ.

حزيران - بيروت 1980

قمصان

هذا هو القميصُ.
قديمٌ بعضَ الشيءِ وفضفاضٌ
يحتاجُ إلى ملامسة سريعة،
من يد امرأة مثلاً.
صحيحٌ، ثمة اهتراءٌ طفيفٌ في الياقةِ،
كالحٌ إلى حد ما تحتَ الإبطين
لكنهُ، على أيةِ حال، ما يزالُ صالحاً للنزهة
صالحاً لِسوَقِ قطيعٍ من الماعزِ في رياحٍ موشكةٍ.

***

لا تذهب في الظّن بعيداً أيها الصديقُ
فالقميصُ لا يمتُّ بصلة ما إلى الرجلِ المُقامِ
نُصبهُ في الساحةِ وحيداً كإله الضّجر.
لا يأخذنّكَ الظنُّ بعيداً

هذا القميصُ له شرَفُ الخسارةِ
لكنه ليس لذلك الرجل.

***

إنّهُ قميص!

***

عندما نبتدئُ صباحاتنا
بارتداء القمصان المشجّرة،
فالأمرُ يعني توجيهَ تحيةٍ شاسعةٍ
إلى الصباحات.

***

في كلِّ صباحٍ ننهضُ من أحلامنا المُغتالةِ
وعلى أفواهنا أحماضُ الليالي،
وثمة في الشفتين رغباتٌ مهزومةٌ وبقايا كلامٍ
نُهرعُ إلى الأدراجِ والمشاجبِ
وبحركاتٍ ملولةٍ

نَبعثرُ الثيابَ اليابسةَ
بحثاً عن قميصٍ مناسبٍ.

***

أيُّ ريحٍ تجفّفُ قُمصانَنَا
الغارقةَ في الشهواتِ؟

***

الفلاحونَ يزرعون القطنَ طويلَ التيلةِ،
لكنهم يرتدونَ الحراشفَ.

***

عندما إلينا يُصوّبُ الرّصاصُ
من المكامنِ اللائذة يخترقُ قمصانَنا،
ويُحدثُ ذلك الصفَّيرَ الذي يدلُّ عليه الدمُ.
وعندما إلينا تُصَوّبُّ الأزهارُ من الروابي
والأيدي التي على وشكِ النعاسِ تُحدثُ ذلك
التوهُجَ الذي

تدلُّ عليه القُبُلاتُ.

***

في الليل تهيمُ القمصانُ
على وجوهها بحثاً عن المناكبِ
والأزرارِ المتساقطةِ.

***

يسألونكَ عن القمصان
قُلْ هي:
رايةُ الجسدِ
شراعُ الرَّغباتِ.

بيروت - نيسان 1980

الأحذية

تُوجعنا الأحذيةُ،
وكي لا نصابَ بالجنونِ
من الجلود والبلاستيك الذي
يغلُّ أقدامَنَا
نجترحُ لها الأشكالَ
والألوانَ
ونثرثرُ حول أناقتِها
ومتانةِ صُنعها
في المقاهي
وبيوتِ الأصدقاءِ.

توجعنا الأحذيةُ
ونحزنُ لأننا في هذه المدنِ
المشيدةَ من عظامِ الأسماك
لا نستطيعُ الحياةَ
دونما أحذيةٍ.

بيروت
حزيران 1980

الأيدي

I

ما جدوى الأيدي
بالنسبة لنا نحنُ الذين
لا نُحسنُ الرقصَ أو النحتَ.
إننا نَحارُ أين نذهبُ بها
وخاصةً عندما نسيرُ وحدنا في
الشوارع.
نشبكُها، نفردُها على الجنبين
نطوحُ بها بعيداً،
نضفرها وراءَ ظهورِنا
كأغصانٍ مقَصوفَةٍ

كعاصفة مؤَجلَّة.
ترُى من يطُلقُ هذه الطيورَ المرعبةَ
التي تئزُّ على مقابضِ الأبواب؟

نبدأ باليدين
وعندما لا يسعفُنا الكلامُ
ننتهي باليدين؛
فهل ننتهي؟

II

نُرَبّيها للأصدقاء
فتحصدُها المياهُ العميقةُ والحروبُ.

بيروت
كانون الاول 1979

العربةُ والحصانُ

هذه هي العربةُ
هذا هو الحصانُ
تلك هي المسافةُ.
العربةُ
والحصانُ
والمسافةُ
في حاجةٍ الى سوطٍ
هو ذا السوطُ.
هذه هي العربةُ
هذا هو الحصانُ
تلك هي المسافةُ
هذا هو السوطُ

العربةُ
والحصانُ
والمسافةُ
والسوطُ
في حاجةٍ إلى رجلٍ.
هو ذا الرجلُ.
هذه هي العربةُ
هذا هو الحصانُ
تلك هي المسافةُ
هذا هو السوطُ
هذا هو الرجلُ.
العربةُ
والحصانُ
والمسافةُ
والسوطُ

والرجلُ
في حاجةٍ إلى غليونٍ.
هو ذا الغليونُ.
هذه هي العربةُ
هذا هو الحصانُ
تلك هي المسافةُ
هذا هو السوطُ
هذا هو الرجلُ
هذا هو الغليونُ.
العربةُ
والحصانُ
والمسافةُ
والسوطُ
والرجلُ
والغليونُ

في حاجة إلى تبغٍ.
هو ذا التبغُ.
هذه هي العربةُ
هذا هو الحصانُ
تلك هي المسافةُ
هذا هو السوطُ
هذا هو الرجلُ
هذا هو الغليونُ
هذا هو التبغُ
العربةُ
والحصانُ
والمسافةُ
والسوطُ
والرجلُ
والغليونُ

في حاجةٍ إلى المرأةِ.
هو ذا الرجلُ منحنٍ على غليونه
هي ذي المرأةُ
ترتعشُ بأزهارِها.
ولكن...
ما الذي يحدثُ عندما الرجلُ
والمرأةُ لا يجدانِ يداً للمصافحة
ولا لساناً للكلام
ولا فماً للقبلةِ.
حقاً
ما الذي يحدثُ عندما يعطسُ الرجلُ
في وجه المرأة المستغرقةِ في اليدِ
التي لم تندفع إلى الخصر
واللسانِ الذي لم تبُلّله الكلماتُ
والفمِ الذي لا يكشفُ إلاّ عن صفٍ من

العظامِ الصغيرةِ،
صفٌ من البيادقِ المهزومة،
إلاّ لفرشاةِ الأسنانِ صباحاً؟

بيروت
كانون الاول 1979

وطن

يحلو لنا أحياناً
أن نَحلُمَ ـ هكذا ـ بأكثرَ مما ينبغي.
ومن مقاه بعيدة
نعلو علواً سافراً.
يحلو لنا أن نَحلُمَ
بمياهٍ آمنة لغسل القدمين
مياهٍ مطمئنةٍ في قنوات الريف
نلقي بأعضائنا إليها.
وعندما يأخذنا الحلمُ
إلى رائحةِ المنازل
يحلو لنا أن نغامرَ
وبكلمةٍ واحدةٍ:
وطن!

بيروت– اذار 1980

أيتها الهوادجُ

أيتها الهوادجُ
أيتها الهوادجُ
يا أجراس الصحراءِ
من هنا مرَّ الأردنيون حفاةَ السيوفِ
والأقدامِ
في أرواحهم يقدحُ حَجرُ الصوّانِ
وفي لحاهم المغبّرةِ تعوي الذئابُ.
أيتها الهوادجُ
أيتها الهوادجُ
من هنا مرَّ شعبي
عارياً وضامراً يَسْحَبُ خلْفَهُ
نهراً يابساً
وصقوراً كهلة.

بيروت
أيار 1980

ثغاء النحاس

الآباءُ
حدثونا عن الغزو والثاراتِ
ولكنهم لم يحدثونا عن الشهداء.
أجراسُ القطيعِ كانت كلَّ شيءٍ
ثغاءُ النحاس
لم ينقطع أبداً.
والانهارُ والواحات تفرُّ
من تحتَ سنابكِ الخيلِ في الليلِ.
الليلُ والخيلُ.
أهذا هو التاريخُ؟

بيروت
أيار 1980

رعاةُ العزلة

(عمان ـ 1986)

الى الذي أيقظه ذلك الصباح باكرا
ليسوقه الى حبل الرصاص: الى ميشيل النمري

منفى

أرأيت؟
نحن لَم نتغيَّرْ كثيراً
وربّما لم نتغير أبداً:
الألفاظُ المشبعةُ
النبرةُ البدويةُ
العناقُ الطويلُ
السؤالُ عن الأهل والمواشي
الضحكةُ المجلجلةُ
رائحةُ الحطبِ القديم
الحطب المخزّنِ في الحظائر
ما تزالُ تعبقُ في ثيابنا.
أرأيت؟
نحن لَم نتغيَّرْ كثيراً

وربما لم نتغيَّر أبداً:
جلساتُ القرفصاء
الغسيلُ المحتشدُ أمامَ البيوت
الأولاد المعفرون بالتراب
الشّايُ المنعنعُ في المساءات
النميمةُ المنعشةُ
الرضى بالقليل
الأخذُ بالثأر
والدمُ الذي لا يصيرُ ماءً
كلُّ ذلك،
وكأننا ما نزالُ في المفرق
أو السلط، في الكرك أو الرمثا.
كأننا ما اجتزنا حدودَ الشمالِ
الى المدن الكبرى
والسواحل.

حيثُ تهدرُ حربٌ
ويَهدرُ بحرٌ
ويمسكُ الغرباءُ بعضهم بعضاً
من الياقات،
أو يطلقونَ الرصاصَ
من شرفاتهم
على حبالِ الغسيل.

بيروت
1982/1/29

عجلون

I

هل غفتْ غزالةُ عجلون؟
هل نامتْ قلعةُ الربضِ؟
أما يزالُ في دبين
يشخبُ الدمُ من أوصالِ
الشجرةِ؟

II

تعبتُ من تعبي،
ومنكِ.

III

غمامٌ
منحدرٌ
من أعالي البرج.
برجٌ

نازلٌ
من أعالي السماء
نجمةٌ
خضراءُ
خضراءُ
في سلالِ العنب.
ذهبٌ
يتهدّلُ في سهول الشمال،
صبيّةٌ
تربي جديلتها
وتفركُ نهدَها بالحناء
ليوم الزفاف،
هديلُ
حمام
يتقصفُ
في قصرٍ مهجور،

عجلونُ
عجلونُ
عجلونُ.

IV

تعبتُ من تعبي
ومنكِ.

V

منْ مرَّ في شعابك الضيِّقةِ
ولم تلطخ ثيابَهُ أزهارُ الدحنون؟
مَنْ عبرَ كرومكِ المثقلة
ولم يقطفْ عنقوداً من السكُّر؟
مَنْ
حاذى زيتونكَ
ولم يملأ مشكاته بالنّور؟
مَنْ
ارتقى سلالمكِ الحجريَّةَ

ولم يفرَّ أمامه سربُ حجل؟
مَنْ
رأى ربضيةً سمراءَ
ولم تلفحهُ رياحُ الهوى؟
مَنْ
رآكِ ولم يقلْ: آه؟

VI

عجلون
دعي الربضيةَ السّمراءَ
تفتحُ بابها الموصدْ
فقد ضاقتْ بيَ الدنيا
وشقّتْ قلبي المسهدْ
سيوفُ الغُربةِ السوداءِ
يا عجلون.

بيروت
شباط/ 1982

قمصانٌ جديدة

I

قادني قميصيَ المبتلُّ عند الإبطين
والنّاشفُ في الرِّيحِ
إلى
أعضائي.

II

انفتحَ قميصيَ
كمظلة في رياح الشّمال
فهبطتً إلى المدرج الروماني
حيثُ فيلادلفيا
ما تزالُ تشجِّعُ المصارعينَ
بحركةٍ من رأسها.

III

قادني قميصيَ
المقدودُ من دُبرٍ
إلى أمي
فسألتني عن امرأة العزيز.

خلعتُ قميصي فارتجفتُ.

لكم قمصانكُم ولي قميصي.

IV

أنتم،
أيها الفتيانُ،
من كان له قميصٌ مشجّرٌ
فليخرج إليَّ

بعد صلاة الجمعة.

V

ارتدوا القمصانَ،
فقد هبّتْ رائحةُ النعناعِ.
تمايلوا في النسيم
فقد شمَّرتْ فيلادلفيا
عن ساقين شقراوين،
وارتقتْ سلَّمَ العشب.
اصطفوا بانتظامٍ
وافتحوا القمصانَ حتى السرَّةِ
انتظروا، أيها الفتيان،
سيفاً من البنفسج يهتزُّ
تحت جبين الملكةِ.

بيروت
1981/6

كلام مؤجل

كلُّ كلامِنا القديمِ
قيلَ بلا رحمة
كلُّ ما اشتهيناً فعلَهُ
اقترفَهُ الآخرونَ في فجاجةٍ.
الكلماتُ،
التي دوَّختِ الرَّأسَ
في زمنِ الفرارِ من العائلةِ،
تأكسدَتْ في الدماغِ.

I

يا اللهُ،
كم كانت الكلماتُ
ساطعةً
ومختالةً

كفرسٍ تحت السرَّج.؟

II

النسوةُ اللائي
حلمُنا بهنَّ،
ونحنُ نقضمُ أطرافَ شواربنَا
المتهدلّة،
ونثقبُ سكينةَ الليل كالأسنّة،
اغتصبهنَّ ناهبو المدنِ وقوفاً
في المكاتب المكيِّفة
دون أن يسدلوا الستائرَ.

III

يا محمدَ
كم كانت النِّساءُ
ساطعات
ومختالاتٍ

كخيولٍ تحت سروجٍ مُذهبةٍ.؟

IV

في كلامنا القديم،
كان الشَّعبُ يُصعدُ فوق الكتفين
ويهتفُ للحرّية
في ذلك الوقت،
وفي كلامنا القديم
كان الأمير ما يزال أميراً
ملتحياً ومدهّنا بالعطور،
وكان الشعبُ
ما يزالُ يضطربُ على حبل
الكلام.

V

اضطربنا اضطراباً عظمياً
وما اضطربَ الكلامُ.

بيروت
1981/5

فيلادلفيا

... وكانت الأناشيدُ
والمراثي، تنحدرُ مع دبيب أصابعي،
وتصبُّ في أحواض الليمون
وخصورِ النساءِ الموحشاتِ.
أكثرَ
من
هودجٍ
أقمت في عراء النجوم
والشّموسُ تصعدُ معارجَ ظَهْري
وتضاهي
شجراً
يتقصَّفُ
في خريفٍ طويلٍ

طويلاً كان الرجلُ الذي سطعَ
واختفى
وطويلاً كان تنفسي في ليالٍ
شهدتْ فرساناً آسرين
طعنوا جيادَهم
طعناتٍ رشيقةً
في انسيابِ العنقِ،
وارخوا شعُورَهم في مهبِّ الرِّيحِ.

I

لا نشيدٌ يطاولُ صدركَ
العامرَ بالشّهبِ والكمالِ
ولا أحدٌ
رآكِ بعينِ الصقر
وأنت تمسكين حجراً رومانياً
بين يديكِ.

الأمراءُ
الذين كانت تفوحُ من أعطافهم
رائحةُ المسك
تماثلوا في الشَقاء
أمام غرّتك العالية.
والفتيانُ
الذين شقّقَ لحمهمُ
شوقُ التماسك المرصود
بالحراب والأعنَّةَ
قضوا
واحداً
واحداً
وأنت بعيدةٌ كنجمٍ،
قريبةٌ كشجرةِ صفصافٍ،
لا تمنحين الرضا

ولا ترفعين الرجاء
لأجلك تدورُ أحجارُ الرَّحى
ويتدفقُ الينبوعُ.

ولأجلك تدورُ المغازلُ
وأصابعُ البنات،
وتُعجَنُ الحناءُ،
ومنك ولكِ وعليكِ
يندلعُ اللهيب.

... وكانت الأرضُ
تهبُ الأقدامَ
والحوافرَ أكاليلَ الغبارِ
وتخترقُ البدوَ
استغاثاتٌ قصيّةٌ

صاحَ فتىً
بدويٌّ فقال:
من أعطى الأميرَ هذا الصولجانَ؟
انه يتأبطُ شعباً متشنجاً
ويهزُّ بعنفٍ قرونَ أكباشِنا.

II

صفٌّ كاملٌ
من نصالٍ توهجتْ
خلفَ أكفالِ الخيولِ المتدافعة
فتواشجَ فرسانُ البدوِ كوبرِ الجَمال،
واقعت الخيلُ على قوائمها، وهبَّتْ في
المدى.
والأصواتُ المو
الأصواتُ التي لا قرارَ لها،
كانت تشقُّ صدورَ الفتيانِ



صـاحت
امرأةٌ
مجلّلَةٌ بالسواد
دونكم الأميرَ هوى،
دونكم حصانَه كبا.
فَضَجَّتْ اناشيدٌ، زغاريدٌ وأيدٍ،
وانعقدَ الغبارُ،
وشَمَخَتْ أنوفُ الخيلِ،
واندفعتْ مهارٌ من بعيد،
وارتفع الأميرُ المتوهجُ
بمائة نصلٍ ذهبيٍ
على أكتافٍ من آبنوس.

عدن - بيروت
1982-80

كرب إيل وتر

قلْ لعالمة الآثار الفرنسية:
أنتِ أيتها الشقراءُ
ما الّذي تعنيه هذه الوعولُ
المتوترةُ
المنبضةُ
تحت أضواءَ الفلورسنت
في التواهي؟
وكم
امرأةً طَرَحَهَا ارضاً
كرب إيل وتر،
أولُ الملوكِ المكاربةِ؟

عدن
1980/12

برار

كيف أكتبُ قصيدتي
وأنا لا أملكُ
إلا حطامَ الوصف؟
كيف أهيىءُ مديحاً غامراً
لوجهِ
الأميرةِ
الغائمِ
في سكينةِ البياض؟
كيف أقتفي أثرَ الغزالةِ
المرميةِ بالشوّاظ الذهبيِّ؟

I

ذهبتُ إلى النَّهرِ
فلم أجدْ إلا الحصى

ووصايا الجفاف.
ذهبتُ إلى العاشقينَ
فلم أجد سوى حبرِ الرسائلِ
وخريفِ القرنفل.
ذهبتُ إلَى البراري
فلم أجد إلا عزلةَ الذئبِ
ووحشةَ الأفعوانِ.
ذهبتُ إلى الحكمة
فلم أجدْ الاّ فتاتَ الَموعظةِ.
ذهبتُ
إلى الشّعرِ
فلم أجدْ
إلاّ
حطامَ الوصفِ.

دمشق
1982/12

الغائب

مَنْ
تألقَ في تلك الأعوامِ
وجاعَ؟
مَنْ
اهتدى وضلَّ فاهتدى إلى ظلالٍ وارفةٍ؟
مَنْ
أحبَّ،
وارتعشَ،
وكرهَ، وانتفضَ،
وغنى ففاض؟
مَنْ
تسامقَ،
واحتدَّ،

وانبرى واضحاً
كالينابيع في السّهل،
كالخيول في الصباحِ المنيرِ؟
مَنْ
هيَّج المناديلَ،
وأربكَ الأيدي،
وهزَّ الجسدَ
بغصنِ البهجةِ؟
مَنْ
فاجأ الربيعَ بالوردِ،
والفمَ بالقبلةِ،
واليدَ بالملامسةِ؟
مَنْ
بعثرَ الخواتمَ،
وعذَّبَ الحريرَ،

واقتفى الغزالةَ
حتى
نومها؟
مَنْ
زرعَ السوَّسنَ
في ذلك الحقلِ
وفي الصباح فتشوا عنه
ولم يجدوه؟
مَنْ
قطفَ الأريجَ
ولم يرَ الحديقةَ،
وتلفَّعَ بالنارِ
فكانت سلاماً؟
مَنْ
مرَّ واطئاً

تحتَ الشبابيكِ
فانفتحتْ،
وأمامَ الأطفالِ
فصاحوا: يا أبي؟
مَنْ
مشى ولم يصلْ،
وصلى صلاةَ الغائبِ،
مَنْ
نامَ
على
حجرٍ
فصارَ ريشَ نعامٍ؟

بيروت
1982/2

مبارزة

سأفاجىءُ الذين ظنوا
برهةً
إنني أراودُ الكلامَ
وأستلُّ
من لحمه غيمة يابسة، إنني:
من بلاد عَصَتْ وأطاعت
من زمانِ الرِّضا والغضب
من نُسغٍ أخضرٍ
من مياه دافقة
من رهافةَ السَّيفَ
وانقضاضِ الصقرِ،
جئتُ.
سأفاجىءُ الذين نظروا في المرايا

وشاهدوني (نحيلاً،
كالحاً كالنخلِ
منتشراً على رمل المفازة،
راكضاً خلفَ احتضارِ الذئبِ
كم وجهَي جميلٌ
كم مراياهم حجرْ)
رامياً جمرتي الوحيدةَ في الماء
تاركاً ظهري لكم (الخنجرُ المسنونُ أعرفهُ
وأعرفُ غيهبَ الظلماتِ،
أعرفُ بأسكم في الغدر
أعرفُكم من الخطو الوئيدِ،
حمامةٌ تنشقُّ عن حجرٍ
وتفتحُ لي الفضاءَ
وعنكبوتُ اللهِ يرفعُ بيننا
سُجفَ الحديد)

وعلى صخرةٍ
في مفترق الطريق
سأجلسُ تاركاً ظهري للمدن،
هاتكاً سترَ الكلام المبين
الذي (لا يرجُّه صخبُ الطيورِ
ولا هزيمٌ الأرجلِ الحبلى
ببرق الصاعقةْ)
وسأغني للمتعةِ
أو للمفاجأة:
عرفتُ الفرقَ والتشابهَ،
الإعصارَ والسكينةَ.
عرفتُ اليدَ التي تقودُ المرأةَ إلى الحبِّ
والحصانَ إلى المبارزة.
لديَّ خنجرٌ له رائحةُ النعناعِ،
وفرسٌ لها رائحةُ العشيقة.

لديَّ قميصٌ مطرزٌ بالذهب،
وقبعةٌ من جلد الوحوش.
مشيتُ في الظَّهيرة
فمشى معي الغمَامُ.
خرجتُ من عشيرتي ولداً
فعدتُ متوجاً بالزيزفون والطَّعنات،
والقُبَلِ الحرام
وفي يدي صرةٌ من النجوم الشرسة.
واذا اشتد بي الغناءُ،
وهبَّ النسيمُ على غرَّتي
مزدهياً سأقولُ:
أنا لا أنامُ في السرير مرتين،
وإذا مالتْ عليَّ الفتاةُ بخدها الأيمنِ
لا أقبلُها على خدها الأيسر،
ولا أسألُها عن اسمها،

وأتركُ وردةً وغمامةً في نحرِها
العاري
ولا أعود.
وأعرفُ أكثرَ مما تعرفون.

بيروت
1982/4

طبول

سنمضي، إذاً
أيها الوطنُ المختومُ
بالشّمعِ الأحمرِ،
والمسجى بين أزهارِ الدفلى،
إلى مثواكَ الأخيرِ
رايةً ممزّقةً
ورؤوساً منكّسةً
بلا حماسةٍ،
أو حزنٍ،
ستمشي الجنازةُ
وطبلٌ واحدٌ يقرعُ:
قلبي.

نيقوسيا
1983 2

أغصان مائلة

أُريدُ أن أُنظِّفَ روحي
من آي الطاعةِ وعناقيدِ المغفرةِ.
أُريدُ أن أُنظِّفَ وجهي
من سيماء السّلالة،
وأغصان شجرة العائلة.
أريدُ أن أنظِّفَ الأوراقَ من هراء القصيدة،
وعبث التداعيات.
لم أعد أرغبُ في الأدوار الرمادية،
والتعرضِ لأشعةِ الإنسجامِ الطيفيّ.
أُريدُ،
فقط،
أن أسمعَ
إرتجاجاتِ الكون

تضربُ جدران قلبي،
وأرى
الضوءَ
ينحلُّ
في مياه العينِ الراكدة،
أريدُ أن أَنظِّفَ رأسي
من بقايا الموعظة والكلمة الطيبة
أريدُ أن أنظِّفَ قلبي
من حطام الحبِّ الأول وشظايا الزجاج
الملوَّن.
أريدُ أن أنظِّفَ عينيَّ
من شباكِ القمر الممزقة،
وستائرِ النوافذ الموصودة.
أريدُ أن أنظِّفَ صوتي
من أُوكسيد الأغنية،

والنداءات المعقودة بشرائطَ فضيةٍ.
أريدُ أن أنظِّف كتفي
من أعشاش العصافير
وطيور الصبَّاح الخرساء.
أريدُ أن أنظِّف جسدي
من ثياب الحرب والسلم،
وغبار الفتوحات المضادة.
أريدُ أن أمشي وحيداً
وأغلقُ بابَ الحظيرةِ ورائي.

نيقوسيا
تموز ـ 1983

وحدة [1]

في الليالي
عندما تأخذُ الجدرانُ بالتنَّفس،
عندما ينتشرُ سحابُ الكونكريت
بين الأصابعِ، وتحت فتحتي الأنف،
عندما
نبحثُ عن وجوهٍ مغضّنةٍ
وأيدٍ مثلمةٍ،
عندماً
نُدِّبُ الصوتَ في العلبِ المحكمةِ الأغلاقِ،
عندما
لا يأتي الصدى،

عندما
نرفعُ الأيدي
ولا يسقطُ الظلُّ،

عندما
لا يُقرعُ الباب
ولا يمرُّ أحدٌ تحت النافذة،
عندما
لا نسمعُ صوتَ الأرضةِ في الخزائن،
ولا عويلَ الحبِّ في الغرفِ المجاورة،
عندما
نُهْرعُ إلى الأدراج
ولا نجدُ صورَ العائلةِ،

عندما

نبحثُ عن مسدسٍ،
مديةٍ،
أو أنشوطةٍ،
ولا نجدُ سوى كلسِ الجدران
يتشقّقُ في صمتٍ مطبقٍ،

عندما
نبحثُ عن أسمائِنا
ولا نتذكرُها،
عندما
يا إلهي يحدثُ كلُّ هذا،
في الليل،
وفي علبةٍ محكمةِ الإغلاق
ما الذي نفعلهُ؟

نيقوسيا
8 - 1983

وحدة [2]

I

سيكونُ كثيراً علينا،
مثلما على الذين من قبلنا،
أن نضربَ كفاً بكفٍ
فتسقطُ الوحدةُ من المشجبِ
إلى درجِ الخزانةِ.

II

ليست الوحدةُ في الصفير
الذي ينبعثُ من الطبقة العلْوية،
فالمرأةُ التي ودّعتْ زوجَهَا، في الصّباح،
وجِدَتْ مضرّجةً بدماءِ عصفورٍ ذُبِحَ
من الوريد إلى الوريد.

III

هُم الذين رتّبوا كلَّ شيءٍ وأذاعوا النتائج:

ـ رجلٌ يذرعُ الرّدهةَ جيئةً وذهاباً،
ومن عنقه يتدلى قمرٌ منُبعج الجانبين
ـ رجلٌ يستندُ إلى صحيفةِ المساء في
انتظار امرأة لا تجيءُ.
ـ رجلٌ أمامَ ساقيةٍ يطعمُ الاصدقاءَ الغرقى
حصىً ذهبيةً.
ـ رجلٌ أمام النافذةِ يلُوحُ لمشاةٍ يتناسلون
من الغبار.
ـ رجلٌ أمام امرأةٍ وبينهما برُزُخٌ من أوكسيد
العزلة.
ـ رجلٌ أمام المرآةِ يمُزِّقُ أوعيةً دمويةً
بسكين المطبخ.

IV

سيكونُ كثيراً علينا،
مثلما على الذين من قبلنا،
أن نضربَ كفاً بكفٍ

فتسقطُ الوحدةُ من المشجبِ
إلى درج الخزانة.

نيقوسيا
1984/4/7

حُمّى

انحناءةٌ
حركةٌ خفيفةٌ من الكتفين،
عنقٌ ينفضُ فراشاتٍ سكرى،
صورةٌ غائمةٌ لأدواتٍ الزينة،
عطرٌ خفيفٌ يتسربُ من خلايا الخشب.

طيفُ المرأة خلفَ الزّجاج:
حوارٌ صامتٌ،
موجةٌ واهنةٌ تسحبُ الثيابَ الهشّةَ
عن أغصانِ الجسد.

عشرُ أصابعَ تمتدُّ لترفعَ عشرةَ ناياتٍ
إلى مستوى الفم.

رنينُ خلخالٍ في ساقٍ مرتعشة.
كتفانِ من مرمرٍ يسدانِ النافذةَ
ولكن..
ثمة،
في مكانٍ ما،
مَنْ يعزفُ على كمانِ العذاب،
ثمة من يرسلُ الحُمّى على شكل
صفيرٍ أسيان.

نيقوسيا
1983/7

نباتاتُ الظلّ

I

الحبُّ غيرُ ممكنٍ كالمرأة التي دشّنتْ حبيبَها
بالتداعيات، كأزهارِ الفلفل التي أعادتْ إلى
الحديقة فحولةَ الرائحة.
عَطَسَ الرَجلُ ومضى بينَ الخيطِ الأبيضِ والخيطِ
الأسود، ولم يقع في الحبّ.
فالحبُّ غيرُ ممكنٍ، كالنوم في ضوء مصابيح
المركبات الفضائيةِ، كلغةٍ تقشّرتْ في ظهيرةٍ
استوائيةٍ، فاستوتْ على عرشِ التنقيط.

II

وعندما مررنا، وكانوا يتجادلونَ في الحبّ
نَطّتْ امرأةٌ من نافذةٍ واطئة، وأعطتْ
انطباعاً بأنّ الحربَ ما تزالُ دائرةً في الربُّعِ

في ذلك الوقت لم تكن الخلاخيلُ قد درَجَتْ
كاحتمالٍ للغواية، ولكننا سمعنا، ونحنُ على
ظهور الجياد، نشيجاً عالياً أقربَ
إلى سكِّ الدراهم، ولم نبالِ بالرّجفة
التي سرت في أعناق الخيول فلكزناها،
ولكن النّهار قد طلَعَ، وظلَّ النشيجُ عالياً في
الكتب.
قال لنا رجلٌ: انهم ثلاثةٌ ورابعهُم كلبهُم.
وقال آخرُ: أربعةٌ وخامسهُم كلبهُم.
وقالتْ امرأةٌ تفوحُ برائحة البابونج: المياهُ
قريبةٌ من كتفِ الجبلِ فاغسلوا ثيابكم، واذهبوا
الى النوم.

وبعد قليل عادَ التيارُ الكهربائي، وألقى السلامَ،
ولم يعد الحبُّ ممكناً في ظلِّ نباتاتِ الظلِّ التي
تحتلُ
أركانَ الغرفة.

نيقوسيا
1984/7

وصف

لا عليك
ولا عليَّ
سوى قميصينِ مُشَّجرينِ
لم نكن
نحن
أو هما
سوى منكبينِ يحترقانِ
بالملامسات.
لم نكن
نحن
أو هما
سوى أغصانٍ تميلُ في يدِ الشمّال.
لا عليكِ

ولا عليَّ
سوى قميصين.
خزانةٌ تضمنُنا،
رائحةٌ تسحبُنا
إلى القديم،
مياهٌ تجرُّنا
إلى السّفوح،
وحبالٌ تعرضُنا
للانسجام،
أيدٍ تطوينا
من الأذرع والمناكب.
وحدةٌ في الغرف،
تهدّلٌ في الياقتين،
مشجبٌ في ليالي الأرق،
أو أدراجٌ في ليالي الشتاء،

لا عليك
ولا عليَّ
سوى مسحةٍ من حقلِ قطنٍ.
قميصان
مُشجَّران،
لا يستحقان كلَّ هذا الوصف.

نيقوسيا
1984/8

صباح مزدوج

صباحُ المرأةِ
غيرُ صباحِ الرجل.
فالمرأةُ التي تقطنُ نُزُلاً للأقليات
استفاقت تحت قوسِ الخدر.
امرأةٌ
قُطعَتْ أحلامُها من حبل السُّرّة،
تلفُّ رمحاً لدناً في «كيمونو»
وترفعُ غرّةً شرسةً
في حركة من الرأس.
اليدان كتابٌ من الحركات،
والفمُ تاريخٌ من الرِّضا والغضب.
رجلٌ
استفاقَ مذعوراً في سرير الزوجة

فهُرِع إلى المياه،
والمشجب، والحذاء المغبر،
بعثرَ الأواني،
مزجَ القهوةَ بالملح بالزعفران..
ألقى نظرةً سريعةً على طفلته
في البيجاما الصفراء،
ونظرةً بطيئةً على أيامه
في المرآة،
وأطبقَ البابَ.

نيقوسيا
1984/8

رؤيا يومية

ما من مرةٍ عدتُ إلى البيت إلا وكانت تتَبعُني سحابةٌ من
الرّصاص، وما من مرةٍ دخلتُ إلا وأدهشتني العائلةُ.
كان ينبغي عليّ أن أكونَ متسامحاً مع المكائدِ الصغيرةِ
التي تحيكُها ضدي
جارتُنا العجوزُ بالتَواطؤ مع أناس يأتون
ويضعونَ مياهَ الجبل عند بابِ المصعد.
وما من مرةٍ جلستُ على مقعدٍ أو سريرٍ إلا
وحاصرتني دُمى متحجرةٌ، وأفكارٌ شيطانيةٌ،
ووظائفُ تساقطتْ من حقائب رجال أعمالٍ استغربُ
وجودَهم هنا.
ولكن يارا تعيدَ ترتيبَ الكمائن، وتستلُّ أرواحاً
رفيعة من أشجار الظلِّ، أو قماش المائدة،
وتطلبُ إلى أطفال متوحشين أن يأخذوا

القطةَ السوداءَ لإعادة التأهيل.
وما مِنْ مرةٍ إلا وأزاحمُ مخلْوقاتٍ سريعةَ الغضب
على منافضِ السجائرِ، وكم من مرةٍ طلَبتُ إلى امرأة
بعينْها
أن تكفَّ عن شكِّ رؤوسِ الأسماك أمامي،
ولكنَّ المذياعَ ظلّ يرسلُ تَعليماتٍ ثابتةً
حول أساليبِ المكافحة إلى القرى
التي حاصَرَتْها فيالقُ من الغرباء
تتسلَّحُ بريشٍ ملونٍ ونايات طويلة.

نيقوسيا
1984/1

سمكة باكونين

المرأةُ الفوضويةُ،
التي تخضُّ الهواءَ عندما تتكلمُ،
التي تطلقُ شَعَرَها
كحقلٍ من أجراس الفُلفل،
التي تَحدقُ بالرجل في غضب،
وتقود حشداً من الأفكار المتطرّفة،
التي تنهضُ من بين فناجينِ القهوة،
وغيومِ التبغِ المنخفضةِ لتحسمَ الحديثَ
في عنف،
التي تحاولُ أن تشكَّ أسماكَ باكونين
المتوحشةَ بخيطٍ من السخريةِ العالية،
التي تأتي من معاقل الأيديولوجيا،

نافذةً من اليعاسيب.
المرأةُ الفوضويةُ
التي جاءت من غوتنبرغ
إلى تونس العاصمة،
صادفتْ نخلةً من الشرق،
فصارت حَبّةَ بلح.

نيقوسيا
1983/12

طبيعة صامتة

لا خلاصَ من المواعيد والبلبلة.
لا خلاصَ من الحرائقِ التي تجيءُ
في أطراف الأصابعِ،
فقبلَ أن تُحكمَ اغلاقَ الثغرات
بالطوابعِ القديمةِ والأفكارِ الحاسمةِ،
كانت الأغصانُ تهبُّ على النافذة،
فتحرِّكُ الجرارَ المسنودةَ بالحصى.

لا خلاصَ من الرغباتِ المحتشدةِ
في المناكبِ والقمصان،
ومن القراراتِ النهائيةِ،
فالمرأةُ تجيءُ في إهابِ من أزهار الليمون،
وتشرعُ في حملة مداهمةً ارتجافات

اليدين،
واهتزاز الطبقات الداخلية للأغنية.
لا خلاصَ من البلبلة
التي تفضُّ الرسائلَ الموجهةَ للجانٍ غامضةٍ،
فالأقمارُ، وطائراتُ الورق
تتساقطُ في صندوق البريد،
والجفافُ يضربُ حافةَ السرّير.
ولا خلاصَ من:
الجواربِ والقفازاتِ المهملةِ في أدراج
المكتب ومجلدات التاريخ الوسيط،
التبغِ الذي يتمترسُ في الفرجات،
وفي شعاب الأنف،
الاحتقاناتِ التي ترافقُ الصباحَ الكسيرَ،
أو قولَ «كل شيءٍ على ما يرام»،
الأغاني التي تتكومُ على المشاجب،

الطموحاتِ الضحلةِ للضابطِ المتقاعدِ في سلاح
المشاة،
نساءَ الجنودِ الشبقاتِ في الأزقة والصورِ
العائلية،
«صباحَ الخيرِ» الكريهةَ لرجلِ المهمات الخاصّة،
الانسجامَ الكاذبَ للمخلوقاتِ المتكئةِ إلى جدارِ
المحبَّة،
المواعيدَ
والبلبلةَ،
العقودَ
والصفقات،
والغرفِ المُشبعةِ بغازات الألفةِ
وأحماضِ التآخي.
لا خلاصَ من الأمل،
والحنانِ الفاضحِ لموظفةِ الأرشيف،

فالمهاجرون يلوكون الذكرياتِ،
ويتمخطونَ،
وفي الساعة الواحدةِ بعد منتصف الليل
يتهدجون بالكحول والمواويل،
ويتذكرونَ محاسنَ الأرز القادمِ
من طريق التجارةِ القديمِ.

نيقوسيا
1983/3

ذات مساء في مقهى

حينما لا تذهبُ بكَ الأفكارُ بعيدا،
وتظلُّ صامتاً،
مُرتعشاً،
تحدِّقُ في عرائش يديكَ
حينما لا تقودُكَ عربةُ المخيِّلةِ
إلى أنفاقٍ مضاءةٍ بالتوجسِ والبروق،
وتظلُّ صامتاً،
مُرتعشاً،
تحدقُ في الدّخانِ الذي يلفُّ معصمكَ
حينما لا تردُّ التحيةَ
على المرأةِ التي تركتْ شالها يتساقطُ
في فراغ المساء،
وتظلُّ صامتاً،

مُرّتعشاً،
تحدقُ في المصائرِ الجانحةِ في فنجانِ القهوة
حينما يعبرُكَ المهاجرون الجددُ
وهم يتأبطون أذرعَ نسائهمِ المحليات،
ويثرثرونَ عن الزمنِ الذي يمضي سريعا
وتظلُّ صامتاً،
مُرتعشاً،
تُحدِّقُ في خشب الطاولة الملتبسِ
حينما لا تجلسُ إلى أحد،
ولا تتذكرُ الحربَ الا كحدوةِ حصانٍ،
أو ستُرة مثقوبةٍ بالرصاص،
حينما، ذاتَ مساءٍ في مقهى،
تعبرُكَ الوجوهُ كغمامٍ نحاسيٍ
فتنصتُ إلى صنوجٍ تدقُّ في باديةٍ بعيدة،
أو إلى تحطم صوارٍ في خلجانٍ مفترضةٍ.

حينما تدورُ، ذاتَ مساءٍ، في مقهى،
اسطوانةُ المغني الكفيفِ،
يتنهدُ الجالسون
فتمشي
إلى حيثُ الفأسُ
يستندُ إلى الشجرة.

نيقوسيا
1984/12

بريد

هل للصمتِ غيرُ هذا الوجهِ الفاضحِ؟
هل للصمتِ غيرٌ هذا التساؤلِ الملحِّ؟
هل لكم،
وأنتم تبتكرون لغةَ المحنةِ،
غيرُ غيمةِ الكلامِ
الساقطةَ من الرفِّ؟
أحرفٌ تتناسلُ من أوجاع الحبر،
تأوهاتٌ مفرطةٌ في العناية،
فضاءٌ مقترحٌ كركبةِ الجمَل،
تباعدٌ مربكٌ في العواطف،
والجمُلِ المُحكمةِ النهايات
قلقٌ مشرعٌ على غبار البلاغة.
هل للصمتِ غيرُ هذا الوجهِ الفاضحِ؟

هل للصمت غيرُ هذا التساؤلِ الملُحِّ؟
هل لكم،
وأنتم تُعيدونَ انتاجَ أسئلةِ المياه،
والوظائفِ، غيرُ صندوقِ بريدي؟

نيقوسيا 3/1985

مسرح

لستُ أصلاً ممن ينتظرون
فلا أنتظرُ شيءٌ عَبَرَ الحواسَّ الخمسَ
وتلاشى. فقاعةٌ حطَّتْ على مقدمة الأنف
وانفجرت. دويٌّ العصافير يشيلُ النَائمةَ
من سريرها ويضعُها أمام المرآة. صورةٌ غائمةٌ
لأفقٍ يبللّهُ مطرٌ غيرُ متوقعٍ. أن يجيءَ لا أحدٌ
يتكهنُ بذلك. ولكن صبية كانوا يجرّونَ جرواً
صغيراً من ذيله أذهلوا المارَّةَ بصفيرهم الكئيب.
اختلاطاتٌ دفعت المتشائمين إلى التشهد
فقد دنتْ ساعةُ الإفطار، واصطفت العائلةُ
حول المائدة. كان الواجبُ انتظارَ الذي يجلسُ
في الصدارة عادةً. فاستوضحوا الأمرَ،
وسُمِعَ عويلٌ في الجناح العلوي.

فكان طفلٌ صغيرٌ يجرّبُ سكينَ المطبخِ. الاّ أنها لحسن
الحظ عادتْ إلى النوم ثانية، واكتفت العائلةُ
بجرعاتٍ سريعة من الشاي.
أجراسٌ تقرعُ. رائحةٌ غريبةٌ.
كأنّ قطيعاً من الماعز يرعى أعشابَ الإبطين.
هذا ما قاله الرجلُ لزوجته في الرسالة الأخيرة،
غير أن الهواءَ الطلقَ الذي أزاحَ السِّتارةَ
كشفَ للجميع بأن اللعبةَ انتهتْ.

نيقوسيا
1985/3

أحد عشر كوكباً لآسيا

ولأنكِ المنبهرةُ بالأقواس والهوادج واللغات
المندثرةَ لقبائلَ تميلُ على الصفصافِ وتبكي،
فقد ملْتِ على نخلة روحي فاساّقط الأَمراءُ،
والمدائحُ، والبهاءُ الحجريُّ للّيالي الألف.
ليلةٌ أخرى وتكتملُ الغصونُ الفضيّةُ للمدى
المتكىء على كتفي.
ليلةٌ أخرى ويتقلدُ القحطانيُّ سيفاً من ربيع
الزّغبِ، ويقودُ حصانَ شهواته بين الرَّخام
الرّعويِ لنهضة الجسد.
الفتنةُ تميلُ إلى الشمال من هذا العراءِ.
المكلَّل بندى القمر، والبلادُ المأخوذةُ بصواعق
النّحاس، وقرونِ الأكباش المكحّلة بغبار التاريخ
العطري تهتفُ في هيجان: هذه آسيا.

ولأنكِ قادمةٌ من مساء التكنولوجيا وأصنافِ
المخلوقَات الأهلية، فقد رأيت الثريا تتلألأ فوق
سنامِ النّوقِ، والخناجرُ المُستَلةُ في ارتياب الذئبِ
تلمعُ كالوقيعة. رأيتِ نجمَ الغواية يبرقُ في
السّواد المطبق لعين الرجل الملثم، ولأنكِ قادمةٌ من
بخار الأَنهار الصّالحة للملاحةِ، ونصوصِ الجسدِ
المهيأ للمعرفة والملامسات الباهظة، فقد وجدتِ في
ظلال كتفين من أبنوس ظلالَ قارة غارقة في الرمال
والأسلحةِ،
آسيا آسيا،
رمالٌ، وأخماصُ بنادقَ،
وقبائلٌ تنحرُ الجِمالَ الجاثيةِ على رُكبةٍ ونصف.
آسيا آسيا
أقمارٌ تتدلى من قبّةِ العرّش
بحبالٍ من قنّبٍ، وتنوحُ في ليل المدنِ الهاذية.

آسيا آسيا
أقاليمٌ من الخردلِ والنسورِ الكهلةِ والارتجالات.
آسيا آسيا
تفاحةُ آدمَ مطعونةٌ بثلاثين نبياً،
وأحدَ عشرَ كوكباً.

***

لا مكانٌ لعصافير النمش
في غابة القار.
لا مطرحٌ ليد الصناعة العالية
في مقبض المحراث الذي يجرّه ثورُ حمورابي،
فنحن نكتبُ ما لا نعرفُ،
ونمضي في احتفالات الكلام.
آسيا كلامٌ يولدُ في الفم
وحقولٌ تصعدُ إلى حافةِ المناجلِ

وتنحني.
آسيا لم ترَ وجهَهَا سوى حربٍ
تمحو ملامحهاَ وتمضي في السّيرةِ
الشخصيةِ
للرّماد
فالحربَ لم تعدْ حرباً،
والطلقاتُ قرنفلٌ ماتَ من الوجد،
والرخامُ ينمو على المناكب.

***

هل نحنُ في العام الأول قبل الصفر.
عرّتْ شمسُ آسيا جسدَها
ومضتْ إلى البحر:
عرائسَ من سنديانٍ،

مستنقعاتٍ من الحكمة،
قلوباً من زيزفون
تتهدلُ على منحنى الجفاف.

الحصى تلمعُ في فكِّ الساقيةِ،
والأطفالُ يجمعونَ الروثَ
لانضاجِ قارّةِ الخبز.

نيقوسيا
1984/2

جمادات

في قصائدهم تنضجُ أزهارُ الجليد،
وتنهضُ أعشاب «السفانا»
من غيوم الكحول.

هم..
القادمون من الأرضِ العاريةِ
وجفاف الرئات
أين عانقوا:
الأكاسيا
والبتولا
الأفاميا
والغاردينا؟
وعلى أي رخامٍ كسولٍ

انعكس الجبينُ الأخضرُ للقمر؟

هم...
أبناءُ السواقي الغائرة،
والشموسِ التي تفلحُ الظَهرَ،
في أي البراري طاردوا الوعولَ،
وأية أغصان حملتْ لهم
النشيدَ الماسيَّ
للكناريّ الحزين؟

نيقوسيا
1984/3

انطباعات خاطئة

من أعطى هذا الإنطباعَ
عن بيوتنا الجديدة،
نحن الذين تركنا مصاطبَ الرّيحانِ
ورائحةَ القرفةِ، ومضينا إلى
حواف الملحِ؟
من قال لهم إن حياتنا
في الجُزر غيرُ حياتنا
على البرِّ الآخر؟
أصدقائي، الذين ظلوا
يتطوّحون بين ذوائب النساء
والمروءة المفتعلة،
تحدثوا كثيرا إلى من صادفوهم في
الشوارع

عن بيتي الجديد.
أصدقائي، الذين ظلوا يحتفظون بوصايا أمهاتهم
حتى بعد أن جاوزوا الثلاثين،
أمسكوا أناساً في الشوارع
وراحوا يحدثونهم عن بيتي الجديد.

من أعطى هذا الانطباعَ عن ثيابنا الجديدة،
نحن الذين خلعنا الصداري المُزركشةَ
وأحزمةَ الخصرِ المجدولةَ من جلد الأفاعي،
وارتدينا الحراشفَ؟
من قال لهم إنّ قمصانَنَا
في الجزر لم تكلحْ عند الابطين
مثلما الحالُ على البرِّ الآخر؟
اصدقائي الذين ظلوا يتلصصون
تحت الشرفاتِ الواطئةِ،

حتى بعد أن جاوزوا الثلاثين،
جلسوا في المقاهي وراحوا يتحدثون إلى
المارّة
عن ثيابي الجديدة.
أصدقائي، الذين أقلعوا عن الكتابة إليَّ،
ذهبوا إلى جيراننا
وراحوا يحدثونهم عن قميصي الجديد.
أصدقائي، الذين ظلوا يكشفون
عن صدورهم ويشمّرون عن زنودهم
برغم أنها جاوزوا الثلاثين،
ذهبوا إلى أمي
وراحوا يحدثونها عن حياة لم أعشها قط.

نيقوسيا
1985/5

رعاة العزلة

[1]

من سيصفُ تحوّلاته
ويرسمُ بخنجرٍ بدويٍ حدودَ الحكمة؟
من سيكتبُ عن ولدٍ قذفته المضاربُ
الى قوة الكونكريت،
حيث لا متسعَ لنموِّ الأحلامِ
حيث تتوجُ دائماً بالخسارة.
من سيقولُ إن الذي دخلَ عمّونَ في صباحٍ
شاسعٍ، ومرتجل، من عام الانفتاح الكبير
وحُمى الأرض، وارتجف أمام امرأةٍ شقراءَ تقرأُ
في كتاب الجدل، سيخلعُ نعليه ويغسلُ كفيه
بمياهٍ سرّيةٍ، ويتركُ اسمه وعباءتَه، ويضمُّ
إلى صدره قرنفلةَ الرفضِ الدامية؟
من سيعرفُ أنه، في صباحٍ مطيرٍ، ومقتضبٍ،

سيلقي نظرةً على كل شيءٍ ولا شيءَ يجتاحه
سوى صورةٍ غائمةٍ لعشرِ أصابعَ تتموجُ بين
يديه؟
وكرجلٍ يسعى إلى قبلةٍ،
أو مبارزةٍ،
مضى.
في صدره وردةٌ داميةٌ
وفي قبضته حجرٌ.
من سيعرفُ أن أمه بكت، لا لشيءٍ،
إلا لأنه لم يرتدِ كنزتَه الصوفَ التي لم تنته
من حياكتها بعدُ، وأن والدَهُ الضابطَ المتقاعدَ
في سلاحِ المشاة قَطّبَ حاجبيه، وطرد أخوتَه
الصغارَ بعد وصول
أولى رسائله، لا لشيءٍ، إلا لأنه لم يبدأ
الخطاب بـ«أبي العزيز والذهب الأبريز»؟

أرأيتموه
وهو يدخلُ في العواصمِ
وهو يخرجُ منها
ناحلاً
ومبتلاً كريش الحمام،
هائماً كنبيٍّ،
وحيداً كذئب الفرزدق؟
سيفٌ بلا مقبض
حصانٌ بلا قوائمَ،
في صدره وردةٌ دامية،
وتحت غرَّته نِصفُ قمر.

يا رجلُ،
يا ابنَ المرأةِ الشاحبةِ
المجلّلةِ بالصمتِ والسَواد،

وابنَ الرجلِ الصالح
أربعُ زنابقَ يَذرفن بلوّرَ الأخوّة
على صورتك المبتسمة في الإطار الخشبي،
أربعةُ خناجرَ في أغمادٍ من نعناعٍ
تتأهبُ لنحر الكباش على العتبة.
سورةُ الكرسيِّ تخفقُ في مدخل البيت،
ومصطبةُ الريحانِ وفمُ السمكة،
وشجرةٌ الليمونِ الوحيدةُ
تهيمُ في المساء،
بين صمّت الأم
وخطوةِ الأبِ
الحازمة في الممرِ الحجريّ،
حنينٌ يقودُ العاشقةَ القديمةَ
الى رائحةِ العناق الأول.
يا رجلُ،

يا ابنَ المرأة الشاحبةِ
المجلّلة بالصمتِ والسواد،
وابنَ الرجل الصالح،
أدركتْ غيمةٌ كتفكَ المائلةَ،
والظلالُ زحفتْ على مطرح اليد.
مطرٌ جارحٌ سيساقطُ عمّاً قريبٍ
بين الأغاني وسفوح مؤاب.
نجمةُ القطبِ آوت إلى عرائش الرّوح،
وشفتاكَ مطبقتانِ على حماسةٍ متحضرة.

يا رجلُ،
يا ابنَ المرأة المجلّلةِ بالصمتِ والسواد،
وابن الرجلِ الصالحِ،
قميصُكَ المُشَجَّرُ الذي أغويتَ به نساءَ الجنودِ
ارتداه صديقٌ من الريف واقتفى خطاكَ،

الأرملةُ الشّابةُ، التي قادكَ إليها نجمُ الرغبةِ
المُذنّبُ بين ندى الليل وصخبِ الفتوّة،
وُجِدتْ منتحرةً في غرفتها ذات المصراع
الحديدي.
وبين نهديها المتربصين كالفخاخ وحتى السرُّةِ
كُتُبَتْ هذه المقاطعُ بالحناء:
نارُكِ في القلبِ
لا في الحريق.
أعطيني خصلةً من شَعرِكِ،
وأمضي.
لم أعرف الحبَّ،
ولكنني عرفتُ الوقوفَ
في ضوء آخرِ نجمةٍ
خلفَ سياجِ الحور.
أعطيني عودَ ريحانٍ وأمضي.

لم أعرفِ القبلةَ،
ولكن من فمي كانت تفرُّ الفراشاتُ،
وتنداحُ أغنيةُ الحقول.
أعطيني قبلةً كاسرةً، وأمضي.
منذ رنين الأجراس
في أعناق الحملان الصغيرة،
وأنا أحلم برنينِ الخلخال
الذي يعطي لكاحلكِ الأيسرِ
هذه الفتنةَ الذهبيةَ.
ومنذ زمانِ الطفولة
وحتى زمانِ التشرد
والنومِ بعينٍ واحدةٍ،
وأنا أحلمُ بهذا
الذي أحلمُ به الآن،
فأعطيني

راحتكِ
لأنام.

II

وقليلاً ما أقامَ في الوضوح،
فهو مشردٌ في الألفاظ
وفي الغمام الذي يرعى أعشابَ الكتفِ،
وملتبسٌ في المعاني،
هشٌّ ومتراخ كمضغةٍ لا تصلح إلا
لنبضِ هدهد كسول،
كزهرةٍ تطلقُ رائحةً يائسةً،
كلا شيءَ.
وفي تلك الليالي،
عندما كانت العائلةُ
تنفضُ الغبارَ الأبيضَ
عن حجر النوم،

وتضرع لقوّة الإبصار،
كان ينحني ويتداخلُ في القنوط.
كان يطلقُ صرخةً
كنخلة مالتْ في وحدتها العالية،
وهوتْ:
سيدي يا.........
إنه يحملُ وشمَ سلالته
المتوارثَ من أعصرِ السديمِ حتى أعصرِ النيرانِ.
يحملُ مخرزَ الثأرِ وزجاجَ التجلّياتِ،
ويحاور في ذروةِ الانخطافِ
امرأةً شمّرتْ عن ساقيها
وخاضتْ في نهرٍ من الأجراسِ.
وفي بريّة لا يدركها الدَّمُ إلا أخضرَ كالموتِ،
حيثُ جفافُ الأخيلة
وربيعُ النبوَّةِ الكسيحةِ،

وحيثُ الوصايا تلوكُ أعوادَ السواكِ
سالَ في الشعابِ،
وصفَّرَ مع الأفعوانِ،
ونَظَمَ طريقَ «التبّانةِ»
بخيطٍ من شَعَرِ الماعزِ
وأطلقَ مع الذئبِ اللطيفِ
قدمينِ من عوسجٍ،
وأرخى شعرَهُ للعُقّابِ الصغيرِ
الذي ضلَّ فاهتدى إليه.
وخلفَ سياجِ الروحِ
كانت تزأرُ الأسودُ
وتتحفزُّ لشقِّ العظامِ.
قفصٌ في الصدرِ،
ووثبةٌ لحصانِ القلبِ،
وصرخةٌ في الحلقِ

تذبحّ طيراً كاسراً:
سيدي يا..........

III

هل كان يعرفُ وهو يقتفي أثرَ الحكمةِ الرّعويةِ
أن الأميرَ الذي قادَ حشداً من العشاقِ واللصوصِ
الظرفاءِ ودَخلَ في نفقِ البطولة لم يترك في مدنِ
العصيانِ سوى عتمة متوجة وبُقيا نفيرٍ؟
هل كان يعرفُ أن نبوّةً كاذبةً
قذفته من بين أغصانِ الأخوةِ
وعباءة الأمِّ
الى هرطقةِ الكونكريت، وأعشابِ القيصومِ
المستلة من صفيحِ الثكنات؟
هل كان يعرفُ وهو يؤلّفُ النشيدَ المؤابيَّ
ان عمّونَ ستطعنُ قلبَهُ بشواظٍ من نحاسِ
القبائلِ المدرجةِ في خططِ السدودِ:

بابُ المدينة للعيونِ
قاماتُهُمُ كالسرو
وقلوبهُمُ صوانٌ.
شلَحوا نعالَهُم
في بابِ الهوى،
وقبلّوا يدَ الأميرِ
المشكولةَ بالذهب،
واستنبتوا الترابَ خيزرانْ.

IV

كان عليه أن يبدأ هذه البدايةَ،
ومنتهياً إلى هذا الحدّ
كوحشٍ ضالٍ ومُنْهَدِمِ القلبِ.
كان عليه الخيبةُ
والهزيمةُ كذئبٍ يأكلُ ذئباً
فاطساً

تحت
سماء
مفرغةٍ
من
الله.
كان عليه...
ولم يذهبْ بعيداً في الرّضا،
ولا في الجِناس الجميل،
ولم يذهب بعيداً في الأرض،
إلى الشمال مثلاً:
حيث تسعى الأشجارُ
إلى المواقدِ والفؤوس.
كان عليه أَن يبدأَ هذه النهايةَ
إلى هذا الحدِّ
وكانت الهزيمةُ ترنُّ في العنقِ

رنينَ جرسِ كبيرِ الأكباشِ.
كان عليه
أن يكذّبَ الانبهارَ ويصطفيه.
وأن يحجلَ تحت رمح الأجل
كان
كان عليه.

أيُّ سماءٍ هذي
التي لا تصلحُ للصّفيرِ
ولا للعراك
ولا للشتيمةَ:
لا
ألف
ميم
لام

أيتها السماءُ المطبقةُ على حجرٍ
لا جدوى
أيها الحجرُ المنتصبُ في عراء الخلق.
وكالصقّر في سورة الغضب
يعضُّ على فلذةٍ من هلاكٍ.

V

يبحث عنكِ
ولا يبحث عن الخلاص،
الرجلُ الذي مرَّ من هنا
قال كلاماً موجعاً عن الفقد ومات.
يبحثُ عنكِ
في غمرة المَعادن
وانقضاضِ العزلة.
يبحثُ عن صفة لا تَتبعُ الموصوفَ،
ويتبعُها عارياً من الحبر.

يبحثُ عن وحشٍ ضالٍ
يصيحُ به:
يا صاحبي
فلنتعش معاً
أنت امرؤٌ أيها الوحشُ مثلي،
يبحث عن صحراءَ دائمة الخضرةِ،
وعن رعاةٍ يطعمون الطّيرَ
لحمَ أكتافهم،
ويدخلون
في
ملكوتِ
الفصولَ.

بيروت ـ نيقوسيا
1981 ـ 1984

قُرفصاء

ليس لأنهم غادروا القرى
والمضاربَ المجنّحةَ افتقدوا الحنينَ
إلى جلسةِ القرفصاء.
قرفصاءُ؛
نصبٌ لأجسامٍ تحلمُ على ساقين
في هيئة زاوية منفرجة.
العيونُ مغارفٌ الكلامِ،
والتبغُ يدورُ على الأيدي التي تخضُّ الهواءَ،
مساوماتٌ ونوادرُ مغلفةٌ بشمع المساء
المسهب.
نزاعاتٌ على النّسب الأول للقبيلة المجاورة،
والجد الثالث للحصان المُحجَّلِ،
شايٌ بالقرفةَ يفضُّ الاشتباكَ

آهةٌ مطعونة بشبرية الوله
تشلعُ القهقهات من الحنايا،
وفجأة تهبُّ رائحةُ المرأةِ،
وتطقطقُ العظام.
قرفصاء:
يُمكنكُ أن تفعلَ ذلك
على أبواب المسارحِ،
وأقسامِ الشرطة
في البعيد المُضببّ.
في قاعات الترانزيت،
وأمامَ رجالِ مكافحةِ الإرهاب
بوجهكَ المقطوف من حقلِ شعيرٍ
تجلسُ القرفصاءَ أنّى شئتَ،

ولكنْ....
أكلُّ القرفصاءِ
قرفصاءُ؟!

نيقوسيا
1985/12

وصولُ الغرباء

(لندن ـ 1990)

إلى مُحمد وفضةً
وتسعتِهما

أسماء مستعارة

[إلى زكريا محمد]

I

الذين يعرفوننَا قديماً لن يعرفونا بعدُ.
مضى وقتُ الخروجِ من الحفلِ ورفعِ الأقنعةِ
مضى وقتُ استعادة الأسماءِ
فالمياهُ التي جرفتْ أكفَّنا البيضَ
تجفُّ في ظهورِ نساءٍ لغيرنا.

II

فكَّرنا في الأمر بعد الثلاثينَ
بعد أن ألحفَ نظارةٌ هائجونَ بالمزيد

لم نجدْ حين هممنا بالنزولِ من الخشبةِ
لقباً يضاهي جرساً يهبُّ منَ الكينا.

III

تركنا للمقبلينَ
مثلما راحلين بقامات مائلة
تركوا أغصانهم على أطرافِ العاصفةِ؛
بأكفٍّ هائلة
رفعنا درَجَ الحيرة
لما وقفتْ أسماؤنا تشهدُ علينا.

لندن - اذار 1989

الصدفة

I

وصلتُ مع الذين وصلوا
قبلَهم بقليلٍ
بعد أن فردوا مُعدَّاتهم على الأرض
وقاسوا الأبعاد.
الأعوانُ المحليّونَ حدّدوا الأهدافَ
وغطّوا الزوايا بنظرات صائبةٍ
المهنيونَ كانت لهم اليدُ الطولى في تصنيف
الحقائق
مُساعِدوهم فاقوا بدهائهم تقاريرَ
أفسحَتْ حيّزاً للتكهنِ.

II

امتلكوا الأنحاءَ والعطفاتِ

أقاموا سُرادقَ لاستقبالِ الطلائعِ.
بين أولئك الذين وصلوا
وقعتُ في الصدفة
وكان
الصبرُ
نواةً
صلبةً
تحتَ
الأسنان.

لندن ـ تشرين الاول 1987

وصول الغرباء

الغرباءُ الذين جاءوا من الضفّافِ الأخرى
تمركزوا في قلاعٍ تُشرفُ على طرقِ البريد.
فكَّر في أغرار يترصدونَ السّعاةَ في الأزقةِ ويجبرونهم
على الاعتراف بالمصادرِ الغامضةِ للعناوين.

فكَّر في عارضي الأحوالِ ومدبجي الرسائلِ وهم
يغطّونَ على دكةٍ خشبيةٍ، وبين فينةٍ وأخرى يطلقونَ
صبيانهم
إلى أسواقِ الجملة لاصطياد فلاحينَ وبدوٍ ضلوا
الطريقَ إلى دوائرِ العدل والاغاثة.

فكَّر في مدراءَ عموميينَ يتأففونَ من مراوحِ السقفِ
وغيابِ الصلاحيات، يتنحنحونَ على كراسي دوارةٍ
فيخفُّ إليهم متطوعون بالسكّر الفضي والزنجبيل

وفي ملفاتهم تجفُّ السّدودُ وتفرُّ القرى
أمام جباةٍ فائقي الدهاء.

فكَّر في لصوصٍ ينتعلون أحذيةً من كتانٍ ويسطونَ
على ثكنات غادرها الجُند إلى حروب التأديب وتطهير
التلاع من عُصاةٍ ألَّبوا النواحي على حاكم شوُهدَ
يتلصّصُ على نسوةٍ ينتفنَ شعْرَ سيقانهنَّ بمعقودِ
السُّكر.

فكَّر في أميرٍ نجا من مقتلة الأعوانِ ولما استفاقَ رأى
سيَّارة يحثّونَ غلاماً شاحباً على الغناء فروى لهم
وقائعَ ليلةِ الجواري والسيوفِ التي لمعتْ في المرايا.

فكّر في صديق قُتِلَ في شارعٍ جانبيٍ على أيدي
أشرارٍ أرادوا أن يؤكدوا للآخرين أنَّ صحيفةَ الصباحِ

تكفي لمواراة رجلٍ ميت وأنَّ بكاءَ أمٍّ في بلدةٍ نائيةٍ
ليس سوى بدعة لم يَدْرُجْ عليها الأولون.
فكَّر في نهارٍ من النعناع يقود موكباً من البُزّاق
الأعمى إلى مجزرةٍ على أطراف الخضرة، ونسوة
يرمينَ مراييلهنَّ على الأرائكِ ويطعمن أطفالهنَّ ثريدَ
جيرانٍ أولموا لرجالٍ عادوا من مناسكَ مبهمةٍ في
الوطن الأم.

فكَّر في قائدٍ اتكأ على رمحه أربعينَ عاماً قبالةَ
أعداءٍ تحجروا في سفحِ نظرته، ولما رأوا الطيرَ تأكلُ
من عنقه استأنفوا الزحفَ على الدّساكرِ.

فكَّر في رجلٍ صالحٍ وصاحبه كلما مرَّا بقريةٍ
انضمَّ إليهما أفّاقونَ جعلوا أعزَّة أهلها أذلَّةً
وحيثما ثقفوا مركباً ليتامى خلَعوه؛

ولما أشاحَ صاحبُه بوجههِ عنه
قال له
ألمْ
أقلْ
لك
إنِك
لن
تطيق
معي
صبرا.

الغرباءُ الذين وصلَوا الليلَ بالنهارِ
تمدَّدوا بين الشرّاشفِ وأواني الضيوفِ

أعانوا السكانَ على أن يكونَ الأرقُ طويلاً

بسجلاتٍ
ومعدّاتٍ
وخرائطَ
مسحوا حليبَ الصباحِ العالقِ بشفاههم
وفكَّروا في أُناس يبشّونَ لهم عندما
يلتقونَ،
وما أن يولّوا وجوهَهم
حتى ينهالوا
على بهائمهم بالعصيِّ.

لندن ـ آب 1987

الواقعة

... وحتى مَطلعِ الفجر ظلَّ الأمراءُ ينوءونَ في الصّحو
ويذبحونَ بسيوفٍ من الذهبِ تيُوسَ الجبالِ الوعرة.
وظلَّ الهرجُ على أشدّه في الحكاية التي انطلقتْ على
نَظّارة جاءوا مع الخضرِ والمواشي.
وكما يَرى النائمون رأوا:
ديكةً تأكلُ أعرافها،
صياحاً يتكسّرُ في المرآتِ
ويسيلُ على المرمر،
فرساناً غابرينَ يخلعونَ قبّعاتهم المتربةَ
في غرفِ النومِ ويطلبونَ من الخدمِ التحدثَ بلغتهم
الأمِّ،
أزيزاً من الورق المقوّى
يدُبُّ الهلعَ في قلوب الحائكات
طيوراً تغري أشجاراً قصيرةَ القامةِ بمياهٍ بعيدة،

أقماراً مُحدودبةً تهشُّ على مخلوقاتٍ ثابتةٍ في
التلال،
نساءً في لحظةِ الطلقِ يتشبثن بقَمرٍ غارب،
راقصاتٍ يتطوَّحنَ بين عشاقٍ فرّوا من أحضانِ
زوجاتهم،
رنيناً زائفاً لمسكوكاتٍ بادلها لصوصٌ بعلبٍ من
التبغ،
سعاة يفتشون بين الأضرحة
عن عناوينَ لمراسلات قانونية،
زوجاتٍ يكشفنَ لقضاةٍ نائمينَ
عن آثارِ سياطٍ على الأرداف،
رعاةً ينحرون كبشاً أمامَ عاشق يتفانى في الذهول،
صيادينَ بخطاطيفَ وسيورٍ جلديةٍ
ينشرون شباكاً كبيرةً على الصّخورِ
ويشربون نخبَ القراصنةِ الذين كانوا.
طيوراً

تخرجُ
من المشهدِ
وتحطُّ على رؤوس النظّارةِ.

والأمراءُ الذين استبدلوا بزّاتهم
الداميةَ بأُخرى مذهّبة
بَرَقَتْ أكتافُهم في الشَّفَقِ،
أغمدوا سيوفَهم الرّشيقةَ في ندى
الحكايةِ،
وانطووا
في الكتاب.

نيقوسيا 85ـ1987

عازفو الأنفاق

[إلى نوري الجرّاح]

I

دع الحنين يُربّي خرافه في الظل
واخلعْ عنكَ سترةَ ناظري السفّوحِ،
فأنت هنا
لا ياسمينَ لتؤجّج شهوةَ الباعثاتِ مناديلهنَّ
بيدِ الصفِير ولا حبقَ لموكبِ العائدينَ من
جبهة الندى.
أنتَ هنا.
وأنا ضيفٌ على مائدة الحيرة
نقلّبُ معاً مساكبَ الذاكرةِ

في ليلٍ مسلَّحٍ بعازفي الأنفاق.
لا حبلَ مودةٍ لتزهو بقميصِ البرقوق
ولا جوابي أصقاعٍ يرحلون إلى منبلجِ المياه.
«إدجوار رود» ليس شراعاً في نهر شربهُ المنحدرون من الجبال بل مركبٌ جانحٌ في خزانة الديون.

II

القصيُّ يطلقُ في إثركَ سبعةَ أخوة يصطخبونَ في دسكرَةٍ يضربُ الغرباءُ في مدخلها أعمارَهم على الآلة الكاتبة.
أنتَ هنا مُدبرُ عادياتٍ ومدائحَ
وأنا ضيفٌ على مائدةِ النسيانِ
نسامرُ أرواحاً تتفاقمُ في دهليزَ
ونطاردُ طفلاً يرغمنُا في منتصفِ الليل
على الاستسلامِ لمخلوقاتٍ هاجعةٍ في زرقةِ عينيه.

ملوكُ أقاليمِ الخردلِ ينتحبونَ منَ الضجر في
ثياب النّومِ
فيما المنشدونَ يتناوقونَ من وراءِ الحُجب.

III

مثقلٌ مثلكَ بالأبواق والقراطيس
تركتُ مدينةً عُرضةً للرّبيعِ
وبيتاً لظلال الأخوّة
قفزتُ عن حافّةِ القطن وجرار المؤونةِ
تأرجحتُ في مستطيلِ اللهفةِ
وسقطتُ
من
علوٍّ
لوعةَ
الأختِ

ونميمة الأصهارِ الذاهبين إلى صلاةِ
الجمعة.
مثقلٌ مثلكَ بوصايا أسلافٍ
يرسلونَ شعباً من الغبار
إلى مصائدِ الإسمنتِ والوظائفِ.
لكلٍّ أجلٍ أمارة
ولكل أمارةٍ ميعادٌ.

دعِ الحنينَ لسدنَةِ السُّحبِ
فلا خراجَ لجباةِ الشعيرِ.

أرضُنا
بعيدة.

لندن ـ أيار 1987

هضبة تطلُّ على البحر

I

إنها أيامُنا
بيَّضنا صفحةَ الليلِ
وأودعنا شقائقَ نعمانِ الحيَرةِ
في سفوحٍ لم نَطأها
بخطىً كبيرةٍ عبرنا الأشجارَ
لنحولَ دون يقظةِ الفجرِ
أيامَ الهبوبِ المداريّ للسَّهرَ
والصعودِ إلى كمائنَ مغمورةٍ باليودِ.
البحرُ قلدنَا أوسمةَ الهيجانِ
والبنادقُ أوحتْ بذكرياتٍ مهجورةٍ في
المضاجعِ.

أيامُ الولعِ والمهاراتِ
أيامُ الحُمَّى والمواعيد.

غفونا بين أنفاسِ القرويات
تاركينَ لأعدائنا دروباً إلى أكتافنا.
أفكارُهم
أضاءتْ
مواضعِ أصابِعنا
على
ثقوبِ الناي.

II

رَشَحْنَا من الشَّغَفِ
فمالوا علينا بصَبْيَتهم ومحاريثهم
ومضوا بنا إلى هضبةٍ تطلُّ على البحر
أحفاداً للذين بأسفارهم



تركوا أصهارا في النواحي.

بالبيارق والأغنية
بلغنا حشائش الأعماقِ
تاركين [illegible]
يشقّ
حنُجُرةَ
الليلِ.

إنها أيامنُا
تستعيدُ فضةَّ العوامِ
وأضاحي الورثة.

لندن ـ مطلع 1989

1955

I

بين أترابي فُزتُ بالمنفى
فكافأتني سيدةٌ بكنزةٍ كَبِرَ أولادُها الخمسةُ
ولم يرتدوها.
وبين أولئك الذين ما برحوا يتساقطون من المَنَعةْ
منحتُ جزيرةً غادرتُها بين رحلتين لقراصنة عميانٍ
كانوا آيةً في الغضب. وأُعطيتُ مدناً تَدِينُ إلى
المنتحرين
بفصولٍ من موسيقى الخشخاش.

الأبراجُ
والضفافُ
والأرواحُ المندفعةُ تحت المطر

أوصلتني إلى ما فعلته يداي.

II

أما العبرةُ التي استخلصها التابعونَ
فتكمنُ في التأويل الذي أصبح مذهباً:
وصل عام 1955 فعالجوه بالفاقة
وبين أترابهِ قادَهُ ضوءٌ باردٌ إلى ما رأته عيناه.

III

كبرتْ طفلتي
ولم ترَ في الأمرِ ما يستحقُّ الذِكرَ.

لندن - آب 1987

مقاطع ليوسف

أخي
يا أخي
لمَ رميتني بجمالِ عينيكَ
وابتليتني بدَمٍ كَذِبٍ
وجعلتني أسعى إلى سوُرةِ الذئبِ
لأعودَ بقميصكَ حمراءَ.
لمَ تركتَ رائحتَكَ في القميص
التي ستطيرُ من عنابر القمح
الي وجه أبينا.
ولدتَ تحت قمر الرضا
وولدتُّ تحت برُج الندم.
أذهلْتني برؤياكَ
بأحدَ عشرَ كوكباً ليديكَ

فامتلكتني المعصية،
أخي
يا أخي.

لندن - حزيران 1987

الأسد

كامنٌ لعذراءَ في وَعرِ الليلِ له ما للحصادِ من
حَرائقَ
ولكن..له ما للجرارِ من عزلةٍ.

لندن ـ حزيران 1987

ذات يوم في جزيرة

[إلى محمود الريماوي]

I

كان لديَّ وقتٌ كهذا.
أسرفتُ في إقالةِ عثراتِ الضُحى
وأطنبتُ في صحوة الأطرافِ وهي تتحررُ من
الخدر.

II

الظَهيراتُ تعرفُ
كم كان تنفسي هادئاً
تحتَ مساقطِ العزلةِ.

III

كان لديَّ متّسعٌ لأعطي المساءَ

نصيبَهُ المعلومَ من بهجات منقضيةٍ
وشآبيبَ تلُوِّحُ بها الذاكرةُ.

IV

الليالي التي يذُللها الضيوفُ
بجرعاتٍ كبيرةٍ من الكونياك
تشهد أنني امتدحتُ
حمَلَةَ المشاعلِ المتدافعين في سبقٍ غامضٍ،
وبددتُ ذَهبَ الوقت
في الأسرَّةِ الجانحةِ تحتَ الأرق.

لندن ـ تشرين الاول 1988

بنلوب أخرى

ليلُ المسافرينَ
مُلاءةٌ من حسراتِ الفضّةِ
تحوكُها سيدةُ الانتظارِ
رجعتْ أغانيه تهزُّنا من السّويداء.
الملثَّمون يلكزونَ رواحلهمَ
في مهبِّ اللذةِ الغامضةِ للخطر
ويتركون وجوههَم للندى الراشحِ من لهاثِ الأشجار
تحتَ سماء شاهدةٍ.
ليلُ المسافرينَ
سُترةٌ من ليلكِ على كتفي سيدةٍ
ظلَّتْ عشرين عاماً
تحوكُ لهفةً صامتةً لرجلٍ بركبةٍ جريحةٍ
لم يصلْ.

لندن - 1988

ميشيل النمري يخرج إلى القتل

لم أكن بينهم حينما افتقدوني في الصور.
الذين لم يعرفوه أغراهُم الوصفُ
وبالغَ القادمون من الظهيرات في امتداح يديه.

I

دعوتُهُ
الشرابُ ماثلٌ
الوليمةُ على المائدةِ
سكينان فضيتان في شغافِ الفحلِ
والدخانُ يُرجِّعُ صدى الأبواقِ
في قلاعِ العشرين.

تَذكّرُ هلاكَه برصاص مباغت
وهو يعبرُ الحبَّ مسرعاً إلى الأبد

يحيي لقطاتٍ كبيرةٍ لأيلٍ يشبُّ طعيناً
في صالة معتمه.
الصورُ تنزلقُ في صمتِ الأطباقِ
وتنزاحُ عن المنظرِ الثابتِ للأزهار.
مائلاً
أنظفُ ذاكرتي بمنديلِ البارحة من رائحةِ المانغا
وأفكّرُ بالطبيعة الجامدة.
لوحةُ الجدار ترجيءُ وعوداً قطعَها الغروبُ
تحت موشورِ التحلّلِ
الاستدعاءُ حيلتي لتثبيتِ عبورهِ السريعِ في الإطار.

II

قطٌّ
لم يكن قريباً مثلما هو الآنَ.
القوةُ تفيضُ من صدره
يتمايلُ في الهواءِ المخفورِ بكثافةِ الأنفاس

الأجراسُ تقودُه إلى ثيابٍ مكويةٍ
في خزانة الندى.
يترنحُ من نشوةِ الفتوةِ
لم يغيره الغيابُ.
بين ألفٍ في لقطةٍ بعيدةٍ أعرفهُ:
من قامته
من ثيابه
من طلٍّ طالعٍ على شفتيه
من قوى التجاذب فيه
من اتكاءته
مما تساقطَ على أريكته
من صفصافٍ يميلُ على كتفيه
مما اجتلبَهَ من مدى تتأهبُ وراءَ ظهرهِ
من سقوطه البطيءِ،
الصامتِ،
على جنبهِ

من خاصرته تنتفضُ،
ثم
تسكنُ.

III

لو تأخرتَ في النوم قليلاً لبلغتَ الأربعين.
الأربعون التي انتظرتكَ في نيلةِ الشراشفِ وأكوابِ
القرفةِ لتروّضَ بدنكَ الصّاهلَ.

كفٌّ من المعدنِ الأسود
تهصرُ عنقودَ العنبِ في العطفة الشاهدة
عينان خرزيتان تمسحانِ المدخلَ بالأشعّة
خطمُ الوحشِ يستقبلُ الرائحةَ.

لم يأخذكَ النّومُ
لم تشتبه برائحةِ اليود التي تهبُّ من البحرِ

لم تفكرِّ بسرٍّ أنوثةَ هذا الصباحِ
لم تلحظْ عقاربَ الساعة
وهي تدفعُ الدقائقَ بقرونها إلى الحافّة.
يدٌ في حزامِ الجلد
وصدرٌ يدفعُ الهواءَ المغنطَ
مسرعاً
خرجتَ
إلى
القتل.
وأيلولُ سفرجلةٌ حجرٌ
تتشقّقُ على هضبةِ الأكروبول.

لندن
88 - 1989

ملوك الحيرة*

وصلوا إلى الحيرةِ من ضفافِ القطن
ينوءون بالولعِ المرتقي أبراجاً لا تطلُّ
على مطارحهم،
مبارحو الرضا سلكوا طريق التبّانةِ في
الغبش ليجهروا بآيٍ من ذِكرهم.

لندن ـ مطلع 1989

جاءت التي

جاءتْ التي أحَبّها أولَ مرةٍ
بمسوحٍ أسودَ
بعرقٍ أبيضَ تحتَ الإبطين
بغمازتين ذاويتين
بكتفين يدرجُ عليهما الدجاجُ
بطفلين يتمخطانِ ويمسحانِ بأكمامِهما
بحسيبٍ ورقيب يتثاءبان.

جاءت التي أحَبَّها أولَ مرةٍ
بعد خمسَ عشرةَ سنةَ من طيرانه الأسطوريِّ
أمام أعينٍ تصطادُ الذبابَ الأزرقَ:
بلا غرّةٍ علّى الجبينِ
بلا زهرةٍ في النّحرِ

بلا كتفينِ يرقّصانِ الهواءَ
بلا ذيلِ فرسٍ
بلا
رائحة.

لندن ـ مطلع 1989

سُرَّ منْ رآكِ

(لندن- 1994)

أبيضُ ما يدومُ لي
أبيضُ ما أخسرُ

بول تسيلان

تعويذة لدخول البيت

I

خَطّي العتبَةَ
وأدخلي البيتْ
بخفقة
الضوء
هذي
شيّعي المُسكَ رمحاً طويلاً
على باب الليل إلى ذويه فقد افتقدوه.

II

خَطّي العتَبَةَ
وأدخلي بقدمِ السَّعدِ؛
الوعدُ
قابَ قوسينَ أو أدنى
الدهرُ سيّافُ الفصول يحني هامه
فنشبُّ ونشيبُ في بارقِ كاحلكِ.

III

خَطّي العتَبَةَ
وبسملي
ففي كلِّ لفتةٍ منكِ يطيرُ سربُ يمامٍ
أشدُّ بياضاً من سريرة النائم

ومع كلِّ فتلة لك
يهتدي قمرٌ ضالٌّ إلى مداره.
بيدكِ اليمنى اطبعي كفَّ الحناءِ على قنطرةَ البيت
فليلُ الليالي كلِّها عندما تضعين قدماً على العتبةِ
مُرغماً يبيّضُ.

الرائحة تُذكّرُ

الرائحةُ تعودُ لتُذكّرُ
الرائحةُ ذاتُها
في المتروكِ
والمأهولِ
بالطيفِ والهالةِ.

الرائحةُ تُذكّرُ بأعطياتٍ لم يرسلها أحدٌ
بأسرَّةٍ في غُرفِ الضحى
بثيابٍ مخذولة على المشاجبِ
بأشعةٍ تتكسرُ على العضلات
بهباءٍ يتساقطُ على المعاصم
بأنفاسٍ تجرّبُ مسالكَ جديدةً إلى

مُرتفعِ الهواء
بمياه الأصلاب
مسفوحةً على الدانتيلا
بالترائب
بأكباشٍ يَهيجُها البولُ
بروادِ فضاءٍ تَخطفُهم سحنةُ القمرِ
بالصنوّبري
باللَّيلكي
بالمشرّئب
بأمطارٍ على أسطحٍ من طينٍ
بحنطةٍ مركوزةٍ في الحظائرِ.
الرائحةُ تُذكِّرُ بالأعشاشِ
بالنزِّ
بالغيبوبةِ
بالمستدير
بذي الحافةِ.



تحديقةٌ عبر الطفولة في الكمال الهمّي   فصُّ الحكمة برعوية تمشي بالكبرياء

الرائحةُ..
الرائحةُ ذاتُها التي تهاجمُ في أمسياتٍ
معلقةٍ بقنَّبِ الهذيان.

دعي متُربّصَ الشقوقِ
يشهدُ صحوّة الفراشةِ.
الرائحةُ
تصعدُ
إلى
الخياشيم
اليعسوبُ
يطيرُ
بين الأعمدةِ
ويهوي
على العتبةِ.

قرِّبيه
صائدَ الضعفِ
من رقائقِ الذهبِ،
قرِّبيه
من الزَّغَبِ الطالعِ على المرّمر
من طعنةِ الآسِ
من تويجِ زهرةِ الإغماءِ
من الذي يعيدُ الفمَ إلى طفولته
ويطلقُ اللسانَ حيةً تسعى.

الرائحةُ تبقى
على اليدِ
في الأنفِ
والشفتّينِ
في ثلمِ الصدّرِ

على الشّراشفِ
في الهواءِ المكابرِ
الرائحةُ
ذاتُها.
يا لأحكام النَّهار إذ تبدأُ القهقرى
وللمواضعات إذ تساقطُ تباعاً
وللرغباتِ إذ تطلقُ فهودَ الكتفينِ
لتجوسَ مفازةَ الهجرانِ.

لندن ـ صيف 1988

وردةُ الدانتيلا السوداءُ

وإذ رأى ما رأى
أطْرَقَتْ
وضَمَّتْ
وجَهِلْتْ.
إجلسي
أرجوكَ
بهذين الحقلينِ المحروثين
بقرنّي ثورٍ سأضَمَنُ القطِافَ.
إجلسي
وباعدي،
قليلٌ من الهواءِ للغصنِ المنحني
بكمثراه.

اللؤلؤةُ في الأنفِ
نجمةُ الذهبِ الضئيلة
تشعُّ تحتَ النظرِ المستقيم.
أيتُها الفائقةُ النَمَشِ
يا بدويةَ البرد
باعدي قليلاً ليصلَ الهواءُ
إلى الكمأة التي تنبلجُ
تحتَ المحراثِ.

أمطاري جافةٌ وشفتاك بليلتان.

البردُ يطوينا من الأعماقِ
نرتجفُ لأن النَمَشَ الذي ترميننا به
يهطلُ على الجراحِ.
قلبي يرتجفُ من بردٍ قديم.

اللّيلُ
القطارُ الذي تَجُره ثيرانٌ كهلةٌ
المرأةُ تنشرُ أبيضَها على الغريبِ.
أبيضُ هو الحليبُ
أبيضُ هذا الليلُ بقلبٍ أسودَ
أبيضُ
مخاتلٌ
غالٍ
وعالٍ
بحذاءين أسودين
أبيضُ هو الأشقرُ المحروسُ بعشبٍ
ساهرٍ،
عُشبٍ الوَحشِ اللطيفِ الهائجِ في
السفحِ.
الأبيضُ
البرّاقُ

المسترِقُ
الشاّعُ
المجتلبُ الشهقاتِ
أبيضُ الزبدِ
والموتَ على وسادةِ الرَّعشةِ.
الأبيضُ
ذو الشامةِ
ذو المرّمرِ
أبيضُ الفيروزِ
أبيضُ الإستدارة
أبيضُ على حوافِّ الزهري
أبيضُ تلالٍ بلا مُرتقى
أبيضُ مخبوءً
ملفوفً بالشرائط
غافٍ في الساتان

أبيضُ الغالبُ سواهُ
الأبيضُ السليطُ
أبيضُ النومِ والندمِ
أبيضُ الغيمِ الممطرِ في المخادع
الأبيضُ المكّينُ
الذي أخرجنا سافرينَ من كلِّ أرثٍ
أبيضُ الزلفى والطاعة
أبيضُ الضراعةِ والشآبيبِ.
يا أبيضَ غلاّباً
حمّالَ روائحَ وارتجاجاتٍ.
نائمٌ في أقطانه
سيدي الصغيرُ
لا يفيقُ على نايات اليد.
قمعُ سُكَّرٍ يذوبُ في الرِّغابِ.
غَرٌّ ومزدُهٍ بحليِّهِ والتخازيمِ.

نظيفٌ
ومحفوفٌ
وماثلٌ
يلمعُ في نداه الزيتونُ.
مغسولٌ بأمطارٍ وصواعقَ،
له هذه الرائحة:
قطعُ الأعشابِ في الصباح.
الأفعوانُ يتلوى في الزَخَمِ
العينُ الكبيرةُ تحدِّقُ.

تتركُ الثيابَ شاهدةً برهبة
على السهمِ الذي شق طائرَ الأكَمة،
تتركُ رائحتَها
تتركُ الانفاسَ
والأصابعَ المنطبعة على استدارةِ
القميص
عرقُ الركبتين
يمحو حبرَ الليلِ
ويشعشعُ فوحَ الحُمَى.

ذهبُ الهامةِ يضوي

مَسكُوبٌ ومُنسابٌ
متطوحٌ بعنايةٍ
عارفٌ بمواضعه الباهرة
بالظلالِ التي يسقُطُ فيهاَ الغريبُ.
البتَلَةُ تتوترُ
الصرخاتُ يتلوها الفيضُ.
الرائحةُ تبوحُ بمكنونِها
رائحةُ الاحتفاظ بالكنز.
الأسودُ يواري القوةَ ويدَّخرِهُا
القوةُ التي تَبسطُ
الكهرباءُ التي تشَلُّ
الارهابُ المجرَّبُ
فتنةُ الذهبِ الكبرى
تَسيلُ على الكاحلِ
تقْتَرحُ حرباً تدومُ.

تقدمي من الذراعِ المانحةِ
براكينُ الشبيهٍ لا تكفي لتَقديرِ الوطأة.

العذابُ
مُصَوَّرٌ
مُغْتَلِمٌ
ومُشْتَبَه.

العناقُ وقوفاً
بالاعضاء على استقامتها
بالتفتّح الضاري للضمّ
العناق وقوفا
في قطارٍ يعبرُ صفَّينَ من الأشجار.

باللمسة
أحررُ المثالَ من قَالبِه.
وعلى ضوءِ المياهِ الشفيفةِ
أصِلُ
إلى
أصْلِ
الصرخةِ.

حرٌّ وطليقٌ السارحُ في الظلمةِ
يحتمي بسفحهِ ويثقبُ الرائينَ ببرعمٍ قاتمٍ
ثملٌ بالصهباءِ
التي ترشحُ من عَطَفَاتهِ.

الشفرةُ
تقطعُ
خيطَ
الألم.

الحقوانِ وما يطويانِ
فوحُ
نزولُ
المادةَ
من صدعِ الأيقونةِ.

وردةُ الدانتيلا السوداء
في أعالي الفخذِ
قبلةُ الملك السعيدِ في الليلّة الألفِ
حيثُ تنزلقُ الأفعى المُرقّطةُ في النداوةِ
لِتَحْرُسَ الحَبَقَ.

الأعضاءُ تتنفسُ وتكنزُ ثروتَهَا
تنحنينَ على ثمرةِ الكستناء
الاستدارةُ تلمعُ في مرآة العينِ
وتهبُّ رائحةُ المجرى.

في أعاليه
أسودُ هو الحريرُ
يتطاحنُ الأمراءُ تحتَ عُقْدَتِه
وينسَفكُ اللعابُ
يَصلونَ إلى الجوهرةِ ضارعينَ
زحفاً على الأكواعِ.
أهذي من الحُبِّ
وأعبُّ الهواءَ المتروكَ.

أرِينيه ناهضاً من نومه
مغموراً بالوعودِ.
على غُرَّته ندىً
وفي أقراطهِ رمانٌ.

أريدُ
أن
أراهُ
خارجاً من خِدْرِهِ
جاذباً
إليه
رِيقَ الصباحِ.

لندن - تشرين الثاني 1989

تعزيم

يدُك الجاهلةُ على الرّكبة البيضاء بيضاءُ
الكاَحلُ الذي يلمعُ في ليلِّ عينيَّ أَبَيضُ
كتفاك السامقان أبيضان ولوحُ الصدر أبيضُ
يماماتَاك الجافلتَان بيضاوان
وبينهما بَرزخُ أبيضُ
قُبَّتُك بيضاءُ وسفحُها أبيضُ
نومُ البنفسجِ بين رخامتين بيضاوينِ أبيضُ
حقواك الهضيمانِ أبيضانِ
وانثناؤكَ أبيضُ
مشيتُك بيَضاءُ ومجالُها أبيضُ
قميصكَ المتروكُ كيفما كان أبيضُ
ورائحتُكَ فيه بيضاءُ
لمستُك طرَف الوصالِ بيضاءُ
وتَنمرُّك في السرير أبَيضُ
شهقتُك بَيضاءُ
ودمي الَذي تسفكين أبيضُ
أبيضُ.

مديحّ السُّرَّة

سُرَّتُكَ
كرازةٌ
سَرّنَمَةٌ
تحديقةُ عينِ الطفولةِ في اكتمال القمر
فصُّ الحكمةِ الرّعويةِ تمشي بها الركبان

في غمده خنْجرُ البدويِّ يرْهفُ
نَصلَهُ فيرتعشُ تويْجُ الوردةِ
الإنكليزية وتضمُّ أكمامَها.
إذرفي يا خرزةَ الأفعى
يا عينَ الغفلةِ القاتلةِ
سمَّكِ الشافي.

سُرَّتُكَ
هَمْهَمَةٌ
لُثْغَةٌ
مجازٌ يفتحُ بابَ الليلِ ويُفْرِطُ في السَّهر
نهضةُ نَمِرَةٍ
آسٌ على مرمرٍ يتمرأى في هباء الأبد
أمارةُ الداخلِ
دليلُ المنقلبِ إلى أهلهِ بندُبةٍ على الجبين.

سُرَّتُكَ
سِرُّ الأمِّ
ريحانُ الطفولة لابثاً هناك
جمْهرةُ النّدى
تجلّي الفضَّةِ في ذاكرة التراب
زفْرةُ الملهوفِ
نجمةُ الصُّبحِ
لا موقعُها الذي هجرته،

هذي الكأسُ جَنّبينِهْا
وهذا البلاءُ جَرّعنيه.

سُرَّتُك
مَنْ رأىَ أطلَّ على اقتلوني
ومَنْ
لم
يرَ
نجا.

معراجُ العاشق

ولدّت بهذا الأسم لتكون لكِ ذكرى
ترددِّهُا أمطارٌ
طويلةٌ
صامتة.

بهذا الأسم ليأتي إليكِ عابرونَ
سيماهمُ من ليلكٍ على وجوههم
مستوحشينَ
خاسرينَ.
نعودُ إلى يديكِ لنروي اطلاعهمُا على الحطام
وغلبتهمُا على الحبِّ
الذي تلمسينَ جرُحه فيندٌّ

جرحُ
الحبِّ
الطويلُ
بظلالٍ
خضراءَ
من
فرط
الندم.

لتتلطفِ الأكُفُّ وهي تدفعنا بين الأعمدة
قانطينَ من الوصول إلى الثمرة المضاءةِ
بوهجِ الأعماق.

أعينُنا بيضاءُ من الفرح
كأننا عُميٌ نراكِ بالرائحةِ
ونتقراك بالأنفاس.
امرأتُنا كلُّنا
فشلنا في معرفة الأثير
وعندما رفعتِ يدَكِ
مدَدنا أيدينا
ولم تكن هناكَ مرآةٌ
مسّنا هواؤكِ فجرَّحنا
طلعنا عليكِ من كلِّ فجٍّ
ولم ننفردْ.

مائدتُنا
زيتُنا
خبزُنا
والملحُ

بين الأشجارِ شممناكِ
ركضنا وراءَ الرائحة
فأوصلتنا إلى ثيابكِ
مرَّغنا وجُوهَنا
واستنشقنا بالمجامعِ.

كنت هناك
ولم نركِ
عرفناكِ من العبير والكأسِ
التي سيأخذُها الساقي عمّا قليلٍ
جاهلاً ما لامسَ.
نتحسسُ آثاركِ على الطاولة
ونتلعّقُ ريقكَ على حوافِّ الكأسِ
بجهلٍ رُفعتْ
وبجسد مَسحَتْ عذراءُ
ظلالَ أصابعكِ على الخشب.

بيننا في النَّهار
الضوءُ يرفعنُا درجات
ويردنُّا إلى شؤوننا قواماً،
لنا وزننُا في الأروقة والمراسلاتِ،
هيبتنُا
محفوظةٌ
في المجالسِ،
مرتفعون في مُشافهاتنا
نتكلمُ فيصغي إلينا فقهاءُ العهد
بثيابهم الحامضةِ من أثر السهّر،
مثلَنا
يسحبهمُ النهارُ مدُنفينَ
من شبكِ الكيدِ.

سرٌّ من رآكَ
من وضع يداً على صابونة الرُّكبةِ
من غطَّ أصبعاً في السُّرَّةِ
واشتمَّ سراً
سرٌّ من أسدلَ مرفقاً
على ضمُور الأيطلِ
من شارفَ النبعَ وشاف.

ذو الغُرّة
يتصوَّحُ برائحةِ أسدٍ نائمٍ
مهيأ للأخذ
ممتنعٍ ومزدَجرْ.

امرأتُنا كُلُّنا
كثيرةٌ في النّهار
وواحدةٌ في شفُافةِ الليلَّ
تضحكين فنعيا
تعلقينَ مصائرَنا على الأهداب
فتسقطُ من رعداتِ ما شُبِّهَ لنا
بالحُمّاء
يعقبُها السّبيُ.

نراكِ على حافةِّ السّرير
وأنت ترتدينَ جوربيكِ الأسودين
شعرُكِ يزخُّ
وظهرُكِ العاري يوجُّ
فنغشى
سكارى
وما نحنُ.

أرينا وجهك لنَجمُلَ في المرايا
ونرقى بالسَعف
لنُحسنَ الظنَ بالأعضاءِ
حين تُستدعى إلى العمل،
لنطمئنَ.

نحوزُكِ ونفقدُكِ
نحوشُكَ من الجهاتِ
بالأغصانَ والرّماح
فتمكرينَ
يَدُكِ فوق أيدينا.

امرأتُنا
وليس بيننا أثيرٌ سوى الرُقادِ
اجعلينا صورةً مما رأيتِ
جمِّلينا بالأسلحة
اصطفينا من الجمعِ
لنقوى.

لا تُشبهُ هذه المنامةُ دجى أعينُنَا
لا يشبهُ تنفُسك في المنام
صعودَنا إلى المضاجع مقرورينَ.
ها إننا نجلو غموضَ الفمِ
ونعطي معاني شتى لإطباقةِ الشفتين
نشمُّهما
نُقبِّلهما
نغسلهمُا بالرِّضابِ
لنوقظَ النحلةَ
ونلثُمَ القمرَ ذا الخدين
نصقلُ صدْعهُ
ونلمسَ الخاتمَ القريبَ من العشبِ
غامضاً لم ينكشفْ لعينٍ
احتلمنا به في أحضان نسائنا
فدفقتْ سخونةٌ في القطن
الملاءاتُ تبقّعتْ بجوز الهند.

أميراك الباسلان
(... تأهلا في بلاط الجلالة لزمردةِ التاج)
مغموران بفتوحات الذّهب
متحرران من طاعة الوصيِّ
ومن غَيرَةِ الوصفاءِ
يعبران سياجَ الوحشِ
فيضيئان ظلمةَ قلبهِ
سُرَّ من رآهما
مدملجين
مثمراً اعلاهما،
سُرَّ من قرَّباه،
ولثم غبارَ الطلعِ.

امرأتُنا كلُّنا
ولدتّ بهاتينِ العينين لتبصري غيرنا
متكئينَ يدنو لهم حفيفٌ
وتنفلقُ ثمراتٌ
غرباءُ بينهم، نرتقي أدراجاً
إلى حيثُ يلعبُ هواؤكِ بالرؤوس
وتتكسرُ
نصالٌ
على المرّمر
أعزاءُ في أقوامنا
خبلَّنا السحرُ
أبيضَ
ظافراً
وشعشعتنا زهرةُ الأفينونِ
فوّاحةً في الشقِّ.

غبطةٌ تستندُ إلى المرفق
قريبونَ
ومائلونَ
نتركُ أبخرةً على البلّور
ونرى الأعظمَ.

هرقُ أعنابٍ في المضائق
العصارةُ
كثةٌ
تنثالُ
سبائبُ الذهب ترتعشُ.
طفحَ الكيلُّ
ومالتِ الرؤوسُ.

أشممنا رائحةَ تفّاحٍ
ونحن نُصعدُ
أرأينا بُداةً بسيوفٍ قصيرةٍ
يشقونَ طريقاً بين الأشجار
أسمعنا عبيداً يتحرّرون بالأبواق
أمررنا بعشاقٍ يقودون لصوصاً إلى الكَنْزِ
أفزنا بكِ، مقتدرين،
بيضاءَ
من
غيرِ
سوءٍ

بهجةَ عائدينَ من المعارج
إلى سُرُرٍ دافئةٍ في البيوت؟

لندن ـ شباط 1990

....

أنت
أسمكَ
رنّةُ صوتكِ
قُبلّتك
رضابكَ
قمتِّك وسفّحكِ
آراكك
نحلتكَ وعسلكِ
أصغراك
طبّعُ اللّبوءةِ فيكِ
رحمتكَ
طعّمُ ملحكِ
عُشُّك
بيّضةُ رُخِّكِ
خطوتكِ

قدمُك
أصابعُ قدمِك
صندّلُك
حجرٌ يشَبْكِ
مرَمّرُك
لوحُ كتفِك
سرَّتك
عينُ سرّتِك
يمامتُك
مجراك
مَسيلُ نداكِ
غفوّتُك
فوحُ نومكٍ
منامتُك
حمّالةُ نهديك
سروالُكِ

بخورُ أعطافكِ
برقُكَ
رعدُك
صلاةٌ استسقائكِ
امطارُك
رائحةُ الأرضِ غبَّكِ
كمأك
غريزةُ الطيرانِ في جناح باشقكِ
صولتكُ وجولتُكِ
برزخُك
الألمُ شاكي السلاحَ على تخوم مُلككِ
برزخُك
أسرّاكِ وأحرّارِكِ يرمونَ من أعلى أبراجك
مناديلَ وتذكاراتٍ تدلُّ عليهم
والليلُ الذي استنفدَ ظلْمَتَهُ بياضُك
يخلي حُجراته ليأوي العائدينَ بندبٍ

ووسوم من مناسكِكِ.
جنّةٌ جنّتُكِ
ونارُك نارٌ
لا يذوقهما
إلاّ
من أنبتَ الشوقُ في قلبه نخلةً طرحتْ
وكان أوّلَ من ذاقَ ثمارها
إلاّ
عابر مفازةَ البوح بكلمة من فمه لفمك.
إلاّ الذي تنساه نَفْسُهُ
وتذكّره أنفاسُكِ
بردُكِ
حرائقُكِ
سلا
مُكِ.

غريبٌ مكلومٌ بمنجل العذراء

عدتُ من السَّهرِ بغيرٍّ ما عادوا،
يداي
تدلاّن
عليَّ.

أقلُّ جمالاً
لهم أسماءٌ تسبِقُ
وتُرجِّعُ
أمطاراً
ظلَّتْ تهطلُ
وأنا أشقُّ الليلّ بالأنفاسِ.

الغصنُ الذي مسَّ كتفي
أدركَ رغبةً أمرَّ من قصبِ الغضبِ.

بأبواقهم عبروا الليلَ
يلمعونَ بزيتِ المهن
محليين امتلكوا وبدّدوا
لم يروا في سَحبات الرّخامِ
ودوارِ المرايا ما رأيتُ
ليثملوا
بالأفيونةِ تدخّنُ تحتَ أنوفهم
بالثمرةِ
رائبةً
تسحُ على الحوضِ.
لم يصدعوا للحفيفِ يسلبُ قلعةَ النوّم.

وكنتُ الغريبَ مكلوماً بمنجلِ العذراء
أشبُّ من برجِ الأسد.

لكنني تركتُ مزماري على الأعشابِ
مستوفياً قسطَهُ من قسّمةِ الرِّيح.

أنظرُ إليكِ في اطناب المنَعة
حيلتي لا شيء أمام سحر الواصلينَ
على أطراف أصابعهم إلى أعالي الخدر.
بلا
دَرَج
أسمعُ أنفاساً تَعدُ بأكثرَ مما
حازته يدٌ لوَّحت بعرجون.

كوني مثلنا
نْحبُّ لأنَ قمراً لا غبارَ عليه
قلَّبنا في مضاجع الندى
بين الشعيرِ والأجراسِ تفلَّتت أعضاؤنا
من خيطِ الرائحة
قادنا أكبرُ الأكباش طراً
الى زِيح الأنثى.
دمُ الشقائقِ أرهقَنا
وحزنّنا حدُّ الليلِ.
الغَيْرةُ أعمتْ بصائرَنَا
فحسدنا لصوصاً وقعوا
على قطعٍ نادرةٍ في الغسيل.

تخففي من رياش الغلبةِ
دوسي العتبةَ
وشرِّفي البيتَ
لي قميصٌ ذائعُ الصيتِ وسيفٌ
ولي سيطرةٌ على نواحيَ الأصهار.

عسلٌ ودمٌ على شفتيَّ من فكرةِ القبلةِ.

حاملُ الوشمِ وصلَ
بكبشه
وأجراسَه
تتبعُه النيازَكُ
عَبَرَ قبوراً بيضاءَ
وداسَ عشباً صامتاً بين التماثيل.

أتغنى بالذي يَبسطُ
وأجزلُ مديحاً للعَضلاتِ وهي تصدُّ
مغّمضاً
أقتفي عِطرَ الأمسِ اللابثَ
بين الساقين
أدخرُ أنفاساً لأشواقٍ تستَأسدُ
في عرين الأرق.
بحلاوة اللسان
اكتشفتُ مُلوحةَ المخبوءِ.

أخبرتني شفتاكِ
بمقتلةِ الكرزِ
وأنفاسُكِ بحصادِ الهالِ
وعيناكِ بالمصيرِ الذي آلت إليه
سُلالةُ اللوزِ.

أتشمُين فوحَ الوردتين؟

أفقدُكَ وأستعيدُكَ
كلما ذَهَّبَ ضوءٌ نَحْرَكَ
وفضَّضَ غبشٌ حاشيةَ السريرِ.

المحارمُ
الكؤوس
المنافضُ
الثيابُ إذ منهكةٌ
الفراشُ بليلاً
مطالعُ سيرةٍ
لمنازلةِ النمر.

أجلسُ بينَ الأهلينَ ولا أُسألُ عن أسمٍ
نسبي هناك
يرمي حطباً في جوف الليل
ويعطي العابرَ أوصافاً
ليس لي ما لهم لأنام
يدي
ولساني
يدلان
عليَّ.

جنحتُ إليك بلا دليلٍ
قلتُ يا بشرى هذه أرضُكِ لاحتْ
وقبابُكِ حَصْحَصَتْ.

يدُكِ تدني وتُقصي
قميصَكِ يكنزُ ما يسيلُ له اللعابُ،
أدخليني مَدْخَلَ ضيقٍ
لنصعدَ بالألم.

ليس هيّناً دخولُ المُلكِ من استدارة الخاتم.

ليلٌ سهر وحُمّى
ألمسُكِ من الطرف الموجعِ
أغريكِ بالرّيحان
وحليب الإبل
أنا الغريبُ المكلومُ بمنجلِ العذراءِ
أطلب ثأراً عاجلاً
من ترفّعِ الكتفينِ
باذخينِ
لا تصلهما سهامٌ
ولا تدُنيهما رحماتٌ.
لأكون جديراً باسمي
شمسُ بن عبد شمس
سأجهل جهلاً يحررُ الفهدَ من مرَسِ الصيدِ
وأرسله ليرعى نمشَ العشرين.

البرقُ
والرعدُ
يقدحانِ في ظهري.

سأحرثُكِ بقوة البدائيينَ
وأحتفرُ كنوزَكِ بيدين تقودان القرنَ
إلى استغاثة تدمي أديمِ الأبيضِ
الممتنِّ لنفسه.

مركبي جنحَ في مضيق الشهّقاتِ
وطفقتُ أبحثُ عن مستقرٍ
ليدي العمياء.

سيفٌ على مخملٍ يكادُ حدّهُ يُضيءُ.



تتوحلُ الرغبةُ
وتسفُّ قنبزَ المجرى
الخدرُ
يحلُّ
عقدةَ
اللسانِ.

نصيبي اليومَ من هاتين العينين اعترافٌ بشغلِ الحيِّز.

سيّدي
وأنا غريبُكَ
جمّلني بينهم
وارفعني فوقهم درجاتٍ
لأقطفَ عنبَ الأفعى
وأستردَّ نقودَ اليقظة
سطا عليها قراصنةُ النومِ.

الاحتضانُ هاصرٌ
مُطقطقُ العظامِ
باعثُ الحشرجاتِ من الرميم.
الشدُّ والجذبُ يتحدان في صمغ الهبوب
تلتمعين بالدفقاتِ
ماءً
يضيءُ
الوجهَ
الآخرَ
للـ
ليلِ.

فجأة أخلتْ يدكِ غنيمتَها
وانبسطتِ العضلاتُ.

نسقطُ
على
آخر
نفسٍ

بين يديك ساكنٌ
قدماكِ تحركان الهواءَ الثقيلَ.

جرحُ
الطعنة
يرشحُ.

بالنمش الذي تتركينه على بدني
أغدو جميلاً
تحتَ قمرِ الحسَد.

لندن ـ أيار 1990

لكِ أيضاً معجزة

ليس عاديّاً ولا مُسلّماً به أن تطلي
علينا بطولك المشهوق فكيف أن تتباسطي معنا.
لكِ أيضاً مُعجزَةٌ لكنَّها ليّستْ طَيَّرةً قُطِّعتْ إرْباً
تستَجمعُ أوصالها وتطيرُ،
ولا الغريبَ بأُخّذَة البعاد على سيمائه يعودُ إلى أهله،
ولا الأعمى يرَفعُ قَميصكَ المهجورَ إلى عينيه
المظلمتين فتسيلُ منهما فضّةٌ،
ولا الكلمات تُتلى على جبلٍ فيخرُّ على ركبتيه
بل مجردُ وجودكَ بيننا في مقهى رصيفيٍّ
أو محطة قطار أنفاقٍ وتنفُّسكِ الهواءَ الزائلَ نفسهُ
صدرّكِ يعلو ويهبطُ فيختّلجُ خلفَ قميصك السّكري
كوّكباك الثقيلان
أسمكِ ننَطقهُ كماَ ننطقُ أسماءَ أقراننا فترنُّ أجراسٌ
في البعيد

يَدُكِ بل العِرقُ الأخضرُ فيها عندما ينّحَسِرُ كُمُّ ردائكِ

تَحت ضوء النَّهار الضئيل.
المَطَرَةُ تبُلِّلُكِ مثلنا فيختلطُ عطرُكِ بفوحِ أعطافكِ
فتصيرُ لكِ رائحة نخلة وحيدةْ.
التّنهدةُ الخَفيفةُ كأنَّها الحسرةُ تندُّ منك
كلّما تذكَّرتِ قرطكِ الذي ضاعَ ونحن نخرج
من صالة السينما وعَبَثاً نجدهُ
وضعكِ ساقاً على ساقٍ
فتفَحُّ رائحةُ مردكوشٍ يقطفُ للتوِّ
ويشدُّ جوّربُكِ الأسودُ ربلتكَ البيضاءَ
من دون أن تشعري بما ينهضُ حولكِ
وما يتقوّضُ
المنديلُ الذي تتركينه على الطاولة
والسجائرُ التي تدخّنين ربعها وتطفيئنها مللاً
ما لا تقيمين له وزناً
وما تهجرينه.

ليس عادياً ولا مُسلَّماً به أن تطلي علينا بطولكِ
المشهوقِ فكيف أن تمدي لنا يداً لنرقى إليكِ.

لصُّ الصّيف

لن أظهرَ في غَدِهم غاسلي أصابعِ قدميكِ بماء النذور
لكنّهم سيمرونَ على أنفاسي يقظانةً في المعابر
أنا الذي أعطي الغرباءَ كلمةً ليفتحوا قلبَ الليلِّ.
لصُّ أعالي الصيفِ
حيث تبذخُ حدائقُكِ وترمي ثمارَها في طريق الأعمى.
الطالعُ
خفيفاً
إلى السهو
التاركُ خيطاً من القمح على أديم النوّم.
أنّى لهم أن يدركوا طُرُقي إلى المُعرَّى في الرّيشِ،
مزيّحاً بدمِ الشفتين.

ليتداولهمُ النّهارُ ويصرف أعمارَهم بين محابرِ العهد
وخزائنِ الأوسمة وليظهروا بأثمن ما لديهم في البلاط
ولكن
لليلِ إذا انكشفتْ أطرافهُ وبنْت
لصٍ يحمي حدودَه بالنواجذ.

لا أخٌ لي بين الحرس ليرمي عليَّ وشاحَه فأمرَّ
ولا أبٌ في مجلس المتنفذينَ
شفاعتي في الخفَّة
ومعرفة أيانَ يطلقُ الذي يبزُّ الموتَ
فهودَهُ بين الأشجار.

الضعيفُ في مكْمنهَ
معتصمٌ بأقوى ما فيه.

فرحونَ بالسَّهر
أولئك الذين ربيّتُهم أعداءً تحت ناظريَّ
وترصدّتُهمُ في الغفلاتِ
فازوا بظاهر يدك
وتركوا أثراً طفيفاً على الثياب.
سدىً يطلقون كلابَ المخيلةِ لتحوشَ الطريدةَ
وهم
مكتفونَ
بالهواء
يقلّبُهم
في أسرّةِ
اللّيلة
الواحدة.

ليستْ العبّرةُ في القطعةِ الأجمل بين ثيابكِ
مرفوعةً على رؤوس الأشهادِ
بلْ
في
الحربةِ
عميقاً
تغرسُ
نواةَ
الألم.

تتركينَ النادرَ
لمعةَ الساّقِ وذكرى مرورِ
القدمِ عاريةً على الدرج.
دونما قصد سوى المجاز الصرفِ
يكشفُ نورٌ الكاحلِ صعُدًاً
نعمةَ النّظرِ إلى الهيكلِ
فأرى
ذهباً
محروساً
بوحشٍ.

إنه ليلّي لأبلونهَّ بالسّهر وحيداً
بين جلبةِ المسافرين
وحيرتي لأفحصنَّ معدنها في مهاوي
القنّبِ.

بياضُك ندمي
يتلكأُ عند متاع اللبؤة
له أرخيتُ حبلَ جهالتي على الغارب
وغنيتُ، أنا المولودَ تحتَ منجلِ الحصاد
غناءَ الغريبِ بين رطانةِ المبُشّرينَ بالسّؤدُدِ.

ولجتُ الغيابةَ من ردائكِ قُدَّ من دُبُرٍ
وكان دليلي الألمُ الذي يبوحُ
بأسرّارهِ لمدوّني الأمثال.

جنتي
ملءُ
عين
الناظرِ
إلى الزوال.

خذي يدي لتَصلي
وتبلغي ما بلغتُ
فقد ملتُ على النبعِ
ولما ارتشفتُ
رميتُ مفتاحي.
قبّلتُ شيئاً بليلاً في الظلِّ
وشممتُ فوحَ طفولتي بين الأكباش.

خذي يدي واجلسي لنغيبَ
فالسدُى عيدُنا
لا لنا
ولا علينا
بعد رجعتهم إلى تمامهم ناقصينَ
سوى
أثرِ العابرينَ
بين الخشخاش.

الشَّمسُ رمتني بنابها الذَّهبي

I

لم أملُكَكِ بترديد أسمكِ ولا بالقُبَلِ التي وَقعَتْ من
فمي على الأرض الوطئتِها
فالعابرُ مثلي لا يملكُ، لكنكِ ملكتني بأصغر شيءٍ
فيكِ.
بالمهمل،
بالمرّميِّ على الكرسيّ أو على حافّة سريركِ.
أسيركِ بل أشدُّ أسراك إخلاصاً لأسره
لا رماحُ قبيلتي ولا كثرةُ إخوتي ستحرران أصغّريَّ
من شَبَكِ السرِّ، فالكتمانُ أدهى من الفقد.
لا أملكُ مَع أن فَمي سمَّاك وسمَّيَ عليكِ
وطافَ في انحائك وعادَ من الظلال العميقة
برائحةِ كوكبٍ يُولدُ من مجرّة النّدى.

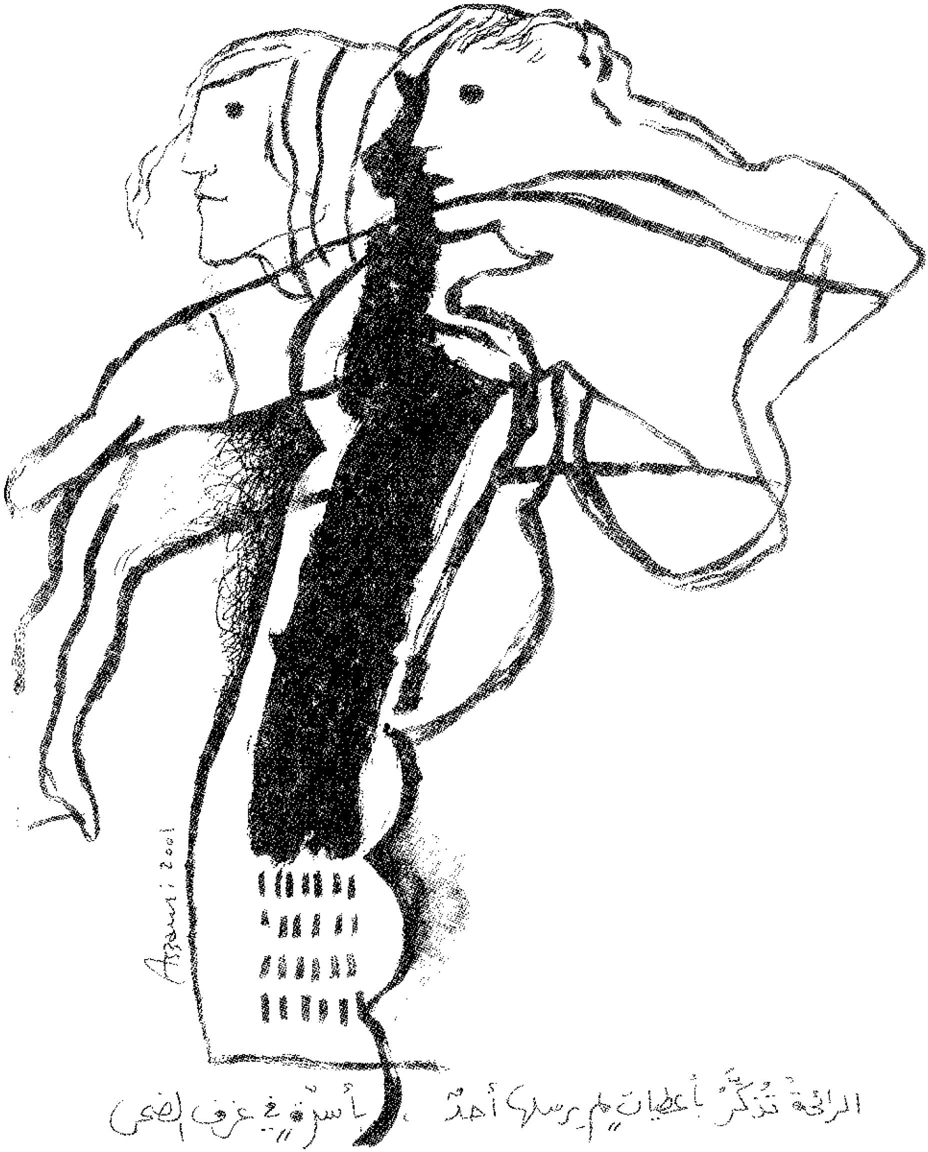
القميصُ المتروكُ
الملاءةُ المبقّعةُ بماء الحشر
اللبّلابُ الذي تعَرَّشَ الجدران وأنت
تروجين فوقي كنورّجٍ يُحرّكه ثورٌ تأبَّدَ في دورانه
تشهد أنني وصلتُ إلى ما وصلتُ إليه:
هذه الذكرى التي تغيمُ وتمطرُ على أكفٍّ ممدودة عرضا.
فبعد أن ترفعي عني أنفاسكِ الحارثةَ تصيرين غيمةً
لم يعد لديها ما تقدمُه للصحراء التي خلفتُها ورائي
ووجدتُني أتلألأُ في سرابها كلما فرغنا من الحبِّ.

II

أحبُّ يا بدويةَ البرد
لأن الشّمسَ رَمَتْ نابَها الذَّهبيَّ في ظَهْري
فجعلتُ أُحجلُ حولك، تأرّجحتُ بين الخيطِ الأبيضِ
والخيطِ الأسودِ ولم أقع في المشتبهات.

فزتُ بالشاماتِ الثلاثِ على لوحِ كتفكِ،
وأضعتُها في الطَريقِ إلى البيت.
كان بياضُكِ خالداً وأنت تصعدين الدرَّج،
النورُ يسيلُ من ظلالكِ العميقةِ
على ساقيكِ
كعبّيكِ
باطنِ قدميكِ
فيضيئُكِ
وحدَكِ.

في النّور العازلِ
الذي يمشي فيه العابرُ فلا يُرى
مندفعاً بظَهري قُدُماً
كانت كمشةُ ترابٍ تثقلُ جيبي.


Azzawi, 2001
الراقصة تُذكّر بأعطيات لم يرسمها أحد ، بأسرّة في غرف الضحى

مُرتقى الأنفاس

(بيروت ـ 1997)

إلى أبي عبد الله
في زفرته الأخيرة

توديع غرناطة

(...) وفي قاعة السفراء تحت سقف الصنوبر والأرز في الحمراء في قلب الهندسة الزرقاء الحمراء الخضراء الذهبية اجتمع شيوخ الثغور وفقهاء غرناطة والقضاة واهل الرباط مع الأمير وقد جلست حدّه أمه ملثمة بين العلماء والوزراء كيما يقرروا هذه المرة حياة أو موت آخر خطوة في القضية.

يا محمد ايها الملك إنهم اشعة مملكتك أصغ إليهم يردون على أقوالك بكلمة واحدة: «التسليم»

أراغون
«مجنون السا»

الرابية

لنْ نعرفَ كم غفونا هناك
تحتَ ظلالِ رموشنا
وكمْ دارتْ بنا الأرضُ
في كتبٍ تداولها مقتنونَ عديدونَ
لكننا رجعنا أخفَّ ما نكونُ
ولمْ نجدْ مَنْ تركناهم على الأبراج
يصدّونَ رياحاً من سبعِ جهاتٍ.

كأننا
طويلاً
غفونا
وإلاّ كيف كلَحَ الطيفُ
وتغضّنتْ قممُ الجبالِ
وأحدودبَ الألفُ
كأن سهمَ الماءِ الراكدِ بين ضفتين
طريقُ شُركائنا، عائدين، كما ألفنا،
بقاماتٍ مائلةٍ من مبادلات الحدود.

لم يعدْ للنخيل ما يفعلهُ هنا،
ولا للأغاني ما تزوِّد به سفرَ الغرباء.
على دراهمنا أثرٌ من النوّم
وفي أصواتنا رنَّةٌ تمتصُّها الريحُ.

وها نحنُ نعودُ
لنشهدَ مصيرَ النجمةِ والغصنِ
ونرى الأميرَ
خفيفاً
على الأرض
بساقين من قصبٍ يستنهضُ
العاصفةَ.

رفعناه قليلاً
لتكون الرابيةُ التي غذذنا إليها
مبكِّرينَ
حسرَتَهُ الأخيرةَ
ليبكي على حجر الأُلى
داراً
وأتراباً
ونائماتٍ ببكورتهن
بيضاواتٍ في خَدَرِ الضحى.

الضوءُ
يفسدُ
جرحَ
الماسة
ويردُّ
الرُقى
إلى
مادّتها
الأولى.

سنهيىء سعفاً ليوم الجمعة
ونرشّ الملحَ على طريقِ الضواري
ونقفُ للنّهار بالمرصاد كيما ينامَ

أفليس أخونا الذي من الصبا جدلنا شعْرَهُ
وربّيناه بين العذارى ليكون أكثرنا جمالاً
تحت
خائنةِ
العيونِ؟

قُربُكَ
البهاءُ شاهقٌ
والفتوّةُ
في إهاب ضيق
والسيفُ الذي أجْلاكَ من مرحِ
الطفولةِ
لامعاً
يُملي
على
العرش
حدَّه.

الخوذةُ والرمحُ يقطعان جسرَ الصرخةِ
ويضعانِ حداً لترفّعِ الكلمات.

[ثمة، على الأسوارِ
مَنْ
ينضحُ
هواءً
خاثراً
بالمواعين]

نتنفسُ معكَ
وأنت دليلُ السدُّى
هواءَ الأسلحةِ يهبُّ من ليلِ الغلَبَةِ.
العاصفةُ
لا الحكمةُ
تروزُ النوايا
وتقيمُ وزناً للأبراج.
القوةُ، مطمئنةٌ لأثقالها،
تتمطى في الهباء الساقط
من مراصدَ شاخصة إلى النجوم
تشغلُ ما شغلتَ من المرافق
تمحو
وتكتبُ
وترثُ
الأختامَ.

أينكَ أيها المائلُ على أكتافنا بِقُنْزعَةِ المُلْكِ ومجازه
ممن بدروعهم وأيقوناتهم وصلوا سريرك، بعد لأي،
يلصفون بزيت القربان تسبقُهم وتوطِّد لهم تحالفاتٌ
مشهودةٌ في النواحي، رفعوا كؤوس مُراوَغَةَ الليالي إلى
شفاههم وتقلّبوا بين متاهة الزلّيج وتصورِّ السموات
منجذبين الى رَجْعِ الهمم وملاطفات الأنفاس.

[جدلُ الجباة والمتكلمين يتصادى
في ردهة المجلس الأعلى لشؤون الرياح
بينما الاميرُ، على الطنافس، يفلَقُ الرمّانَ بكلتا يديه
ويرمي الأحاجي على خلصائه]

الغالبون مشوا حيثما هَفْهَفَ إستبرقٌ
وخضَّ جناحُ كاسرٍ قاعةَ السفراءِ
يسحَبُهم من أطرافٍ بأسهم
حِسُّ إناثٍ صغيرات صعدنَ إلى العرشِ
ودلّين أقداماً
بيضاءَ
في صحاف الندى
لمّا
كانت
الطفولةُ
تنهى
وتأمرُ.

رأوا الضوءَ والظلَّ يحفظان عن ظهر قلبٍ
معارجَ النّهارِ وتقلُّبَ الأمراءِ في المضاجعً
فنزولهم إلى الردهات والدواوينِ
يتمايلون من روعة الصِّبا
تَطّامَنُ الأقواسُ والقببُ
إذ يستخفُ الجمالُ أيدي الصانعينَ
المهارةُ
مخفورةٌ
بحدودها؛
فوقَ
كلِّ
ذي
يد
يدٌ
وكلُّ جبلٍ
قمةٌ وسفحٌ.

هكذا
أسلَمَ
الكمالُ،
خفيضاً
وصامتاً،
نَفْسَهُ
لمشيئة
الأصيل.

الخفيفون على الأرضِ نزلوا من
الطرف الآخرِ وجاء جبابرةٌ بزاناتٍ
طويلةٍ أرسوا قواعدهم في الأسواقَ
ورطّنواً الأسماءَ.

كذلك تكفّلت الرّيحُ بالشعلة
والأمطارُ بآثارِ الراحلين.

لِمَنْ إذن
بيدين أوصلتا الجبابرةَ إلى البيت
وقدَّمَت المفتاحَ
تنصبُ الأيامُ فِخاخَها
في ارتفاعِ المُهجِ
وانقطاعِ الأنفاسِ؟

النّدمُ
أبٌ يُرسِّمُ أبناءه القتلى أدلاء إلى التيه
ويلوكُ عشباً صامتاً على رابية.

ميلان النهار

العذراءُ وصلتْ بطولها المحسود مشياً على الأقدام

أختاً للصباح الصرفِ عبرتْ خطّ الأزل
وصارت عيناً لضرير ينحتُ في الهواءِ
حاشيةً للأميرِ النائمِ تحتَ الكتان.
بين الشقائق
ممنوحةً لرابعة النّهار
وطئتْ
بقدمٍ صغيرة
ناحية الأجراسِ.

في الربيعِ الموصوف جاء مدّاحون ونسّابون
وعازفون بناياتٍ طويلةٍ وكان الدخانُ يحجبُ هياجَ
الأكباشِ.

لا بيضاءُ
ولا موشومةٌ على الزّندِ الفتيِّ

بنظرة الواعدة نفسَها بالكثير
رازتْ وزنَ الهواءِ بينَ الجبلِ والهاويةِ
وتَركتْ للساهر على كنز الأرقِ
درهماً ذهباً بين الكاعبين.

هوذا يومُها الكبيرُ
يومَ العذراء تدقُّ بكعبها ممرَّ الأصيلِ
الطويلِ تسبقُها الأجراسُ نفسُها التي دشَّنَتْ
تلعةً جديدةً بين الرواسي،
يومُ السيفِ
والإكليلِ
والوجعِ الذي يحيلُ الطفولةَ ذكرى،
يومُ اليد ممتدةً لتَصلَ إليها
وتبزّ علوَّ الذي كلما نظرتْهُ العذارى
رأين حصاناً
في صدره سهمٌ
وتحت غرَّته شارةُ الأجل،
يومُ شميمِ الصبِّا مكنوزاً في حُقِّه
على العشبِ الحوشيِّ
يومُ الجمالِ جهالةَ من رأى
أفصحُ من عيدٍ وأدنى من حبلِ الوريدِ.

لم يعدْ للجواري ما يكدنَ به في الليل
فقد وصلتْ مَنْ بنظرتها
أسقطت الثمارَ المتلكئةَ عن الأغصانِ
ونامتْ عاريةً على سطحِ السهرِ.

تتنفسُ تحتَ الخشخاشِ
جنبَ الأفعى التي احتفظتْ
بصلِّها لعشرِ ليالٍ
مغمضةً
تسعى لتنالَ حِصّتَها من الألم.

المُنادى بها
تمهلتْ في رمي نَبْلتِها
رَمَتْ
فأصابتْ
كَبِدَ النهارِ اللاهي بين الأشجارِ.

رهيفٌ الاميرُ بطيلسانه على الأريكة
يخفُّ إليه الأقربون بالطاعة نفسِها
التي يُفشُونَ بها الأسرارَ
في..... مخادعِ الحُمّى
الطرفِ
الأخفى
الأنوثةُ
حاكمةٌ
بأوهى الحيلَ.

مثلهم أدركتْ ميلانَ النهار
إذ أودعَ الأصيلُ النخيلَ
شماريخَه من دم الأختين،
باليد التي روَّضت نمرَ الأنفاس
تتقرّى شغورَ المساءِ من رنينه المعتادِ
وتعطي انطباعاً بالمدى النافذةِ إليه
الرّيحُ بين الأشجارِ

بلغَ
السيلُ
كالَ
الذي
كالَ
واكتالتْ بمكيالين.

الضغائنُ التي تطعمِ الليلَ ثديَها
خارتْ قواها
وهنَ العظمُ
وانقطعَ المدادُ

الضراعةُ شآبيبُ لمن بيده السيفُ قريباً من الأسوارِ
ومَنْ بيده المفتاحُ واقفاً على العتبة
فسلَّم، صامتاً، بما آلت إليه الأيامُ
وَسَطَ تَصَاخُبِ راحلينَ.

ليس الغروبُ بلا ثقلٍ على أكتاف رافعي
النّهارِ
تاركي جنَّة العريف تحت رحمة الهبوبِ
غير أن الموتَ بالقناع الساهي لاعبٌ في
الجوارِ يرمي نَرْدَهُ على حصصِ الهواءِ ومن بين
أصواته المجرَّبةِ يختارُ أضعفَها
الشهقةُ
انبلجتْ
فأضاءتْ
ضجعةَ
النسرِ
على رابية.

الأمير

صَعَّرتُ خدي لآلاءِ النَّهار
لا أقدِّمُ
ولاأؤخّرُ
تاركاً التباريحَ تُسلس قيادَ الأنفاسِ.
ما حاجتي، بعدُ، بالنظرِ
الغيابةُ تفي بوعودها
فألجُ المتاهةَ مشفوعاً بظلمتي.

يا لخفَّتي
الهواءُ يرفعُني حيث تخلو الفكرةُ
ويكون ما تبقى من الضوءِ كافياً
لأرى ما دبَّرته يداي.
الغياهبُ تتلو عليَّ
ويغمرني بهباتهِ الهجرانُ.

أنا أبو عبد الله المكنى بالصغيرِ، بكرُ
أمي ولدتُ تحتَ لبدةِ الأسدِ
رايتي حمراءُ
ودليلي نهارٌ يميلُ
سلكتُ طرقاً مشاها أسلافٌ خطرون
بهمّةِ دمٍ يطردُ دماً
ووصلتُ إلى ما دالَ للقادمين.

الكلماتُ التي رفعتني فوق معيَّتي درجاتٍ
ستسبقُني وتهيئُ لي مصيراً لن يجادلَ فيه عابرو
المعاني أنا الذي نودي بين العذارى ولم يكن بيده
حسامٌ بل حمامةٌ بيضاءُ طارتْ عندما ختنوه فبكى
لمّا رأى الموسى ترشحُ دماً فانهالوا عليه بالقطن.
عشتُ النَّهارَ الغالبَ في عبَرٍ ارتجزها مصيري
وفاجأتني بصورتي على الدراهم وأنّى وَجدتُ
طيفي جالساً على النمارق أنكرتُهُ فلم أكن من نودي
به كنتُ شقيقَ المساءِ أستدرجُ طفولتي من متاعِ
القوةِ إلى معجزةٍ تتمرأى في الظلالِ.

آيتي اليومَ أن أكون صامتاً وسطَ فصحاء
النَّهارِ منقطعاً لرنين القوافي بين أسنانهم الكبيرةِ.

ولما جلستُ على العرشِ واستوى الأقربون
وعدُتُ بما لم تصوب إليه أعينُ كائلي القممِ
بما يكفي لأنامَ نوماً يؤرِّقُ متسقطي الأخبار،
بالعهدِ يحملُ إليَّ دهاقنةَ النواحي
ببرانسهم البيضِ منزَّهينَ من كلِّ قصدٍ
وبالهواء الصافي
يُقلِّبُ سرائرَهم على وجوهِها
ويأخذُ بأيديهم عبْرَ الأشجارِ.

... ووعدْتُ بالغصنِ والثمرةِ
بالمنامة في الطرفِ الخالي
لم تقدرّ ضراعتي لمَن ألقى بها على وجهي،
بالشميمِ منبلجاً من ضربةِ السَّمهري
بَجَّتْ ربيبَ الظلّ فلقتين،
بغالب الجبابرةِ
آخذَهم بالتلابيب
بساَحبِهم من خرزات دُروعِهم
يُجرجرهُم على خيط اللعابِ مُدّنفين.
بالنومِ نومَ الذي مطمئناً
أن
الصَّباحَ
لناظرهِ.

ومن فرط انتظاري ظننتُ سهمَ الماءِ طريقَ
ثِقاتي عائدين، بوثباتٍ كبيرةٍ، من حصادِ الثغورِ.

على دَرَجِ السُّهاد
سمعتُ خطوَ العذارى يتصادى في صالة العرشِ
ورأيتُ الندى يتبلّرُ على الترائبِ.
الأنفاسُ التي تقودُ أكبرَ الفاتحينَ إلى مرابعي الآن
أهرقت، من قبلُ، عبيرَها السامَّ على بدني
وأدخلتني مضائقَها.

أكادُ أسمعُ من سفح غيبوبتي مدَّاحةَ خفَّتي تئنُ
تحت ثقلِ الزّند حيث الصليبُ وخوذةُ الفارسِ
يمحوانِ ظِلالَ قامتي على المياه.

الرائحةُ التي تهبُّ من هناك
تبلغُ مُرادَها وتستحكمُ.
رائحةُ
مرورِ
اليدِ
على
تحالفِ
العشبِ
والندى.

هناك صيفٌ صممّتْهُ بيدي الكليمة لم يأتِ
ولا الذين غفوا جنبَ يقظتهم في الوَصيدِ.
هناك قممٌ أعلى وراء تصوري لـ «شلِّير»
حيثُ الأخوّةُ على أشدِّها والسلامُ الموعودُ
أنقى ما يكون قريباً من أكتافِ مذلّلي الليالي.

هناك جبابرةٌ، أيضاً
أخرجوا غيرَنا من شراشفهم
تاركين دروباً أولّتْ اسماءَهم
وأناساً أذهلوا المنشدين بالصفيرِ.

و
هناك من يَصْعَدُ إليَّ
وأنا أرى شعلةَ الحمراءِ
تتلطفُ بها الريحُ.

وَصلَ الغالبونَ إلى الفكرةِ التي
سبقتهم
وسدَّدَتْ خطى الغرباءِ إلى غايتها
كاملينَ
سوى
من نُدبٍ
تركتها
الرّيحُ
على
وجوههم
تذكاراً.

اليومَ ينامُ واصلوُ البرجِ بالوادي على
سريري تحت تسعةٍ وتسعينَ اسماً لليقظةِ.

ما
أطولَ
انتظارَ
الطعنةِ.

لا سيفي
ولا لداتي
ولا مؤولو الأحاديثِ
سيردّونَ المكتوبَ إلى حبره
ويرجعون بالنبأ إلى الطير رمانا به
وتناهى
في
ليلٍ
بهيمٍ
منقطعِ النظيرِ.

أريدُ أن أبلى هناك
في فجرِ الهباءِ الكبيرِ
قانطاً
متصدعاً.
طويلاً
أريدُ أن أنامَ
خفيفاً،
إلى الأبدِ.

ما عرفتُ، مذ نوديتُ، سوى هذه الرغبةِ
تقودني بخطمها الأعمى إلى مسيل الليلَ
سوى لهب البنفسج يصاّعدُ من تنينِ
الجوف
سوى الإمّحاءِ.

بأوعية الندمِ نَضَحْتُ غبارَ الأفكارِ
وتركتُ للمقبلينَ
زفرتي حجراً
على رابية.

مشيئةُ الأفولِ

«كان حشدٌ من رعاياه السابقين قد تجمع في المرفأ لتوديعه ولما امتلأت أشرعةُ السفن بالريح واستعدت للاقلاع ارادوا أن يهتفوا عاليا بحياة ملكهم السابق لكن حالته والطريقة التي خرج بها من أرض أجداده جعلتهم يترددون.
ولما عادت الى ذاكرتهم تنبؤاتُ النحس التي لازمته منذ ميلاده خفَّ حماسهم واكتفوا بصيحة «وداعاً يا أبا عبد الله، ليحفظك الله» وارتفعت أصوات أُخرى تقول وداعا يا «زغيبي» ووقع هذا الأسمُ كالسهم في قلب أبي عبد الله العاثر الحظ واغرورقت عيناه بالدموع للمرة الثانية بعد أن شاهد عاصمته من على قمة الجبل وهي تختفي عن ناظره إلى الأبد».

واشنطن ايرفنغ
«سقوط غرناطة»

I

تحتَ النجمة الآمرة
تركتُ طفولتَي تتلكأُ في ضواحي الأبد
لما كانت الأقدارُ تُكْتَبُ.
اللاحقونَ ما التمسوا لمحنتي سبباً. أولَّوا
الحادثات ما طابَ لهم
وجعلوا المَغفرةَ حكراً على النسيان.

عرفتُ أن ذلك حدَثَ غداً
لكن رسائلي لم تترك أثراً فثمةَ من دأبَ على
تحريرها ومضى الوقتُ لكسب ودادِ الغزاةِ.

سدىً أستعيدُ هدأةَ الأعماق في الكرى المأهول بالأطياف
فقد طلعَ الصباحُ وألفيتُني عارياً تحت رحمة الندم.

لا شيءَ يهبُّ، الآن، من الروابي السبع
ولا دمعَ في مقلتيَّ كيما أشاطرَ نفسي العزاء.

المنشدونَ انصرفوا بمدائحهم
العذارى بحفيفهنَّ
المتزلفون بما خفَّ
والطيرُ
منهكةً من الهجرات والقنص
أوتْ إلى محميّةِ اللهِ.
فأين
آوي
أنا؟

لا غالبٌ
اليومَ
إلاّ
الذي
بكلِّ
جوارحهِ
ينام.

II

يا للعراء المُمَغْنَط
الروحُ تتصنَّمُ فيَ الهبوبِ الكبيرِ وتضاهي
اثني
عشر
أسداً
في
تمام
القنوط،
ويا للجهات التي ترسلُ إليك أبطالها الخائرين
ليتشبثوا بالغروب.

أرخبيلاتُ سرطانٍ
أعشابُ تهلكة
كأن الغزاةَ ابتدّروا حياتكَ
بطعناتٍ لا تُشفي.
لم تمتْ
فالعبرةُ انتدبتكَ لمطرحها العالي
كذلكَ طولّتْ
حياةَ اليدِ التي لوّحتْ
واليد التي كزّتْ على المفتاح
فظلَّ محفوراً فيها.

ناظرُ هبوبِ الرياحِ
متأملُ الترابِ الصابرِ
أميرُ انتظارِ طعنةِ الألماسِ
أسيرُ الزغبِ الهاربِ في بدَنِ العشرينِ
ذو الزفرةِ التي ذَهَبَتْ مثلاً

وقفتَ بين ما لكَ وما عليكَ لحظةَ استواءِ الساعةِ
في برجِ القلعةِ

النقصانُ
ببياضه
يفتنُكَ
النبوءةُ
تستوفي
كيلَها

أما الذين وصلوا من الأرباضِ والأقاليمِ
فاستعانوا على الظهيرات بقيلولةٍ في ظلال زوجاتٍ
يطردنَ الأرواحَ الشريرةَ بمراوحَ منّ ريش الرُّخِ.

الأهلونَ مرتفعونَ في أسرَّةِ القيامةِ
الحموضةُ
تتفوَّحُ

الوحشةُ تبسطُ لكَ بقرونها الأنحاءَ.

هجرانٌ
راسخٌ
في الطرق
الهواءُ
خاثرٌ
المصائرُ تفوِّضُ أمرَها
لمشيئةِ الأفولِ.

طنينٌ
يُعرِّشُ

الأيدي التي روَّضت اندفاعاتِ الجبالِ تهدْهدُ أنفاساً
تتلظى في بيوت موصدة على زيتِ القربانِ.
السماحةُ تستمحيك عذراً
الآيات لن تتلى بعدُ على مسامع النخيل
الأخوّةُ وراءَ الحدود حلمٌ رابعة النَّهار.
الغرباءُ الذين رقصوا أكتاف الليالي
لن يرفعوا عقائرَهم تحت نوافذ البيازينَ
الهلالُ محاقٌ
إسمكَ سوأةٌ تتجافاها العيونُ
القوافي التي كوكبتِ الندى على ركَبِ العذارى
صامتةٌ في الكتب
القطنُ يبرعم في الآذان والسُّرر
العوانسُ متطيراتٍ يتعلَّقن برائحةِ ذكورةٍ حامضةٍ
في ثياب الكهنة.

وفي مجاري الأنهار الجافَّةِ
كانت الحصباءُ تتفلَّقُ.

أصَخْتَ إلى نداءات متناهية:
زفيرُ خيولٍ تحت سروجٍ ثقيلةٍ
صفيرُ مهاميزَ
جلجلةُ سُراة
حداءُ أمهاتٍ لأبكارهن في البعَاد.
اضطرابُ جموعٍ بين السماءِ والطارقِ.

طويلاً
استمعتَ إلى صريفِ الذاكرة
وهسيسِ الريحِ في قَصبِ الشهوات.

III

سيدُ هذا الغروب النشوريِّ
رأيتَ في النجمةَ التي كلأتْ خطاكَ
طيفكَ يكدحُ في الفناء:
يجفِّفُ الدمَ في صالة الشقيقتين
ينظِّفُ مقابضَ الأبوابِ
يمسحُ الغبارَ عن المدائحِ المطمئنَّةِ على
الجدران
يشمِّسُ المُلاءات
يبخّرُ سريرَ ليلةَ العذراءِ
يهيئُ المائدةَ
ويتواصى بخطى تتنزَّه تياهةً على
مَرْمَرِ الذاكرةِ.

لمْ يكن أمامكَ سوى امتداحِ آحاد الجبلِ
المنذورة لصيد الفحول
اثنيتَ على الهواء الكثيف
وبالغتَ في ارتفاع الأشجار
امتدحتَ بطيخَ الريفِ ومياهَ الينابيعِ
وأولمتَ لزوّار صاخبينَ يرفعون
أفقاً دامياً فوق أشواقِ الغريبِ.

الغالبون
على
أمرهم
حطوا رحالهم.

الضحكُ
في
شرفات
الغروب
يرجرجُ
صدوغَ
نساء
لحيماتٍ.

IV

لم تقصُصْ رؤياكَ على أحد
إذ جاءكَ قراصنةُ النوّم صفاً صفاً
وتوَّجوك ملكاً على شؤونِ الليل
طُفتَ مدناً بصحبة بربرٍ ومدجنينَ
ورأيتَ ممالكَ تتقوضُ تحت جُنحِ النسيانِ
وأميرات يتخففنَ من الذهبِ
ويسقطنَ من أعالي الرغبات.
سمعتَ هاتفاً يقولُ هي الأيام نُداولُها
فقلْتَ شكراً للأخوة الغامضينَ الذين
ملأوا كأسكَ وغمروكَ بالتصاويرِ
شكراً لضيوف الأسحارِ
يُهَدْهِدُونَ الأرقَ
ويختمونَ ثغراتِ الليلِ
بشمعِ السَّهر.

بأكفٍّ كبيرةٍ حرسوا زفرتكَ
وبهيئاتِ نمورٍ ترصّدوا الطرائدَ

آيةُ
الماضي
آيلةٌ
إلى
ضراوةِ
الاصيلِ.

بينهم أنصتّ لاطيافٍ تروي سيرَ الأسلاف
لمهاجرين انهمكوا في تدوين طباعِ اللقلقِ
واستظهارِ كتابِ الأضدادِ.

وبيدين سلَّمتا السيفَ والمفتاحَ
أمسكتَ ناياً ورحتَ تجرحُ أشباحاً
تتكاثرُ في النعاس.
إنهم
أبناءُ عُمومَتِكَ الأدنون
يرنون إلى نسائهم يتطوَّحنَ
بين القفائر والأقفاص في طنابر المساء
ويرون غزاة أرغموا أقواماً على الصمت
وهبوا العابرين أنساباً في النواحي
وغيروا الأسماءَ.

مرتقى الانفاس

I

ليست رماحُ الجبابرةِ ولا مُدى الاقزامِ
بل
يدُكِ
بل
أصابعُ يدِكِ
لا
بلْ
أنفاسُكِ
تشقُّ الهواءَ الخالدَ أثلاماً وتتركُها لبذْار الألم
المنقولة بالثَّنية واللِّسان أسمعُها تحت دُخنةَ
الخشخاش تستدرجُ أوثان حياتي باسطةً أكفَّها في
الوصيد، ارتقيت مدارجها رافعا حيرتي رايةَ من سلَّم
أمرَه للهبوب.

II

ليس السيفُ
ولا حجرُ الماسِ
بل
الأنفاسُ،
بلْ ما هو أوهى
استرقني من علوِّ يقظتي
واسترقَّني أنا المسنودُ ببأسِ سُلالتي والتعاويذِ

ليَ الليلُ متروكا كلُّهُ
السّهادُ على رسلهِ
الهواءُ مطعوناً بالأنينَ.
وقعتُ كما يقعُ السَّادرُ مَرَحاً في خفتَّه
لا نسبيْ يُرْجِعُني اليومَ إلى منزلتي بينَ الأهلينَ
ولا ارتدَّتْ عيناي بدَركٍ من هاويةٍ تسحبُني
إليها الأجراسُ.

الأنفاسُ
أرّختْ
نقابها
الهوى
القاسي
اجتباني
الأمارة
لوَّحتْ
بنذيرها.

III

في يقظة الأسير لصائرِ الليل الحارسِ
سمعتُ وقعَ خطىً
تردُّدَ أنفاسٍ
حفيفَ ثيابٍ

مسَّني طائفٌ من رياشٍ فلمحتُ طيفكَ
يهرقُ نوراً على الطرف المظلم ويعدُ بسهرٍ
يبسطُ آلاءه على من تصطفيه التباريحُ من بين
لاهينَ، تخفَّفْتُ من متاع المكين على الأرض وقلتُ إني
أنا الاخفُّ من العرْجُونِ أقتفي دون منَّةٍ ما تركه مرورُكَ
حافيةً على الأعشاب لا بخائنة العين ولكن بكدح الفؤاد
أضربُ في مناكبها معرضاً عما يرفعهُ القائفون
إلى منزلة الأثر.

IV

على رابية الحسرة
تبرأتُ من النجم الذي لمولدي
ومن مهارتي بين الأقران.
وَسَطَ العابرين بأكتافٍ كبيرةٍ
كنتُ ذا القامةِ المائلةِ تحتَ البروقِ جنحتُ إلى سفوحٍ

تتلقى صامتةً عظاتِ الذُّرى وسمعتُ تحت وقر السماء
تفلُّقَ الشيءِ في عزّ هجرانه صادفتُ تلالاً تولدُ من سَهوّ
الرواسي وأرواحاً تهيمُ مختومةً بحدوة الهاجرة، مررتُ
بعوسجٍ يتفشى في الشعاب على غير هدىً
فقلتُ له يا أخي
وبما حملتني عليه قواي شاطرتُ تراباً
يحتضنُ بذرةَ السُّم وبذرةَ الترياق
جاء جمعٌ رفعَ الغبارُ بيني وبينهم حجاباً
فقفلوا عائدين بأسلاب الهباء،
آويتُ إلى جبلٍ علّني أقبسُ مما تراءى.

V

أرأيتُ أم هو ما هيأته ليَ الحمُى:
كانت الأشواقُ تلوّحُ بالمشاعل لسائرين
في ليل أرواحهم دون أن يبرحوا المضاجعَ
والسماحُ يستضيفُ عصاةً فروا من عواقب أسمائهم

والأخوَّةُ تفُسحُ لجبَّارين روَّعوا النواحي
والغمامُ يظللُ يتيماً أنكره الأقربون
والكنزُ المرصودُ بسبعة أطيافٍ يتكشفُ للأبعدين

....

....

وعلى كتف المساء الحرِّ كان الأملُ العليلُ لمأسوركِ
يستعيدُ قواه
لما يدكُ
تجلّتْ
ومسَّتْ
يديْ
فرأيتُ.

VI



«ما كذب الفؤادُ ما رأى»

أبو عبدو البغل

أعمال شعرية

ولا العينُ التي ضَرَبَتْ عنها صفحاً
وتركتُها ترعى صورَ الفانينَ
ولا اليدُ التي عادتْ إلىَّ بنبأ الركبةِ
ولا رائحةُ الهال التي لازمتني
وحيثما مررتُ فضحتْ سراً
أنا
أجهلُ
جاهليه
ولا أنفاسي التي جسَّمتكَ
وتدرّجتْ، صعُداً، من أخمص القدم إلى التُّرقُوةِ
وكادتْ بعدما شارفتْ جنّتَكِ أن تهجرني.

ولا كذبتْ قطرةٌ من دمِ الأقحوانة
سالتْ
فصنعتْ
شفقاً
لا
يريمُ.

VII

.. ولكن
ما بالُ هذه الكأسُ
وتلك الدُّخنةُ
لا تأخذان بيدِ السهُّادِ
ما بالُني
لا أغيبُ
ولا أصحو.
كأنني ما رأيتُ
وما لمستُ
وما تنفستُ ما تَركَتْهُ أنفاسُكِ
على يديَّ.

VIII

ليست نجمةُ المجوسِ
ولا نارُ بني أهلي هذي التي تضيءُ
وتختطفُ
إنما
طيفُكَ
عابرٌ
بين قمتين
أو لعلّها أنفاسُكَ
تستدرجُ وعوداً لاَ تموتُ ولا تحيا
أو ربما حسرتي
ترمي شواظاً في صميم الليل
وتجسُّ قرارَ الهاويةِ.

IX

أخفُّ من أملٍ على جبل القنوط
الرّيشةُ التي تحررت من ورطةِ
الجناحِ
أثقلُ مني في كفَّة الرِّيح.
فيا لنفسيَ
أمّارةً بالألم
ويا لفمي عطشانُ على حافّة النبع
ويا ليديَّ
ادعتا وصلاً
وعادتا خاويتين.

X

متوّجٌ بخفّتي
عرشي على الهواء
مسنودٌ بحرقة الأنفاس.

خفتّي ما أبقت لي أثراً على الأرض
ولا رَفَعَتْني إليكِ
آه خفتّي
ارفعيني
أو ذريني بكتف مائلة
أصدُّ غباراً يهبُّ على خَطى طفولتي
بين الرمّان.

آه خفتّي
وصل الغريبُ
بلا بارحةٍ أو غدٍ
وصلَ
الغريبُ
على
آخر
نفسٍ.

بطاقة مهنية وشعرية

امجد ناصر

مواليد الاردن عام 1955
عمل في الصحافة العربية في كل من بيروت وقبرص بين عامي1977–1987
انتقل الى لندن عام 1987 واسهم في تأسيس صحيفة« القدس العربي» عام 1989
ويعمل مديرا للتحرير فيها ومشرفا على قسمها الثقافي.

اصدرالأعمال التالية:

- مديح لمقهى اخر، شعر، بيروت عام1979
- منذ جلعاد، شعر، بيروت 1981
- رعاة العزلة، شعر، عمان 1986
- وصول الغرباء، شعر، لندن 1990
- سُرَّ من راك، شعر، الطبعة الأولى، لندن 1994
  الطبعة الثانية، باريس 1996
- خبط الأجنحة، ادب رحلة، لندن 1995
- مرتقى الأنفاس، شعر، بيروت 1997
- تحت أكثر من سماء، أدب رحلة، ابو ظبي 2002
- صدرت له مختارات شعرية في القاهرة واخرى في عمان.

ترجمات:

—صدرت ترجمة لمختارات من شعره الى اللغة الفرنسية ترجمها عدنان محسن
وقدم لها ادونيس عن دارالنشر الباريسة LA HARMATTAN
كما ترجمت له مؤخرا مجموعة شعرية الى اللغة الإيطالية
عن دار النشر EDIZION SAN MARCO DEI GIUSTINIANI
في جنوا قام بها فوزي الدليمي
وستصدر ترجمة اسبانية لمجموعته «مرتقى الأنفاس» التي تتناول الأيام الأخيرة لأبي عبد الله الصغير في غرناطة قريبا، انجزها أحمد العبدالاوي وماريا انطونيا ريكاس.
هذا فضلا عن القصائد المنفردة المترجمة الى اللغة الانكليزية والالمانية.

الفهرست



أقرأ شعر أمجد ناصر بشغف قارئ يحرص على أن يستقصي أسرار الكتابة الشعريّة ، فأرى في هذا الشعر طريقة « مفردة » في تحرير الكلمات من ذاكرتها ، وإطلاقها من جديد ، في حركيّة مضيئة ، نحو فضاء آخر . وأرى فيه كشفاً للفروقات بين الأشياء الّتي [illegible] عادة أنّها متباينة ، ولا رابط بينها . هكذا لا تعوم الكلمة في [illegible] العواطف ، أو ترزح أسيرة تحت عبء مذهبيّة ما ، وإنّما [illegible] بؤرةَ موسيقى وصورةً ودلالة ؛ بؤرةً عموديّة وأفقيّة على [illegible] . نحن ، في هذا الشعر، أمام لغة شعريّة هرطوقيّة وأمينة في آن [illegible] المتواصلة ، وأمينة لجوهر الشعر .

أدونيس

من مقدّمة كتاب أمجد ناصر « معراج العاشق » [illegible] إلى الفرنسيّة

ينقل أمجد ناصر قصيدة النثر العربيّة التسعينيّة إلى منطقة [illegible] ونادرة ، هي مقاربة الموضوعة التاريخيّة من موقع [illegible] بممارسة أشدّ الضغوط على النثر بوصفه وسيط الكتابة الشعريّة .

صبحي حديدي / السفير ، بيروت ، [illegible]/١٩٩٨

كأنّه يأتينا من الزاوية الثانية في زمن الشعر الآتي نحونا بغالبيّة من الصوت نفسه ، ونكاد نقول : بالصوت نفسه .

نزيه خاطر / النهار ، بيروت ، ١٩٨١/٢/٢٦

عالم أمجد ناصر الشعريّ قائم على تعدّد الطبقات والأساليب الّتي تصبّ ، في الختام ، في نهر التجربة الواحدة .

عبده وازن / الحياة ، لندن ، ٢٠٠١/٧/٢٦

صحيح أنّ الدخول في تركيبة أمجد ناصر الشعريّة سهل ومريح ، ولكن ليس من البساطة فكّ وتحليل الصيغة الّتي تجعل سرده « السرديّ » شعراً صافياً وساطعاً .

يوسف بزّي / صباح الخير ، بيروت ، ١٩٩٠/٥/٢١

قراءة تجربة أمجد ناصر تعد القراءة بالمزيد من المنجز على مستوى الفنّ ، والكثير من المفاجآت على مستوى المناطق الّتي لا يحظر الشاعر على نفسه دخول أيّ منها دون إذن أو انتظار .

حاتم الصكر / عُمان ، مسقط ، ٢٠٠١/٢/٧

منشورات 2002
عمّان 2002
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/ ٨٠٧٩٠١